القسم الأول

الوحدة الإسلامية

بين النظرية والتطبيق

بقلم الدكتور / عمر يوسف حمزة
جامعة أم درمان الإسلامية
وجامعة قطر - كلية الشريعة

مقدمة :

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتناصروا ، وبطونا وفصائل ليتآلفوا ويتظاهروا ..

والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، ومن بعثه الله رحمة للعالمين ..

وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ..

وبعد :

فإن الإسلام بطبيعته يجعل من المسلمين كتلة واحدة ، ويخلق بينهم تضامنا ، فهو يجمعهم على عقيدة واحدة ، وعبادة واحدة ، وشريعة واحدة ، وقبلة واحدة ، وغاية واحدة .

وأي صدع في هذه الوحدة ، وأي هزة في هذا الكيان يعتبر جريمة ما بعدها جريمة .

إن الفرقة هى القاضية على الدين والدنيا معا .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [1] .

وذهاب الريح : هو ذهاب القوة القاضى بالضعف والإذلال ، ثم الفناء والزوال .

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٤٦ .

إن الإسلام أعلن براءته من المفرقين :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَىْءٍ ﴾ (١) .

ويقول جل شأنه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (٢) .

وحبل الله هو القرآن ، كما ورد في الحديث الصحيح عن ابن مسعود ، ولفظه : « إن الصراط محتضر تحضره الشياطين ، ينادون : ياعبد الله ، هلم هذا الطريق ؛ ليصدوا عن سبيل الله ، فاعتصموا بحبل الله ، فإن حبل الله هو كتاب الله » (٣) وهذا التفسير أولى من غيره ، لأن من اعتصم بكتاب الله كان آخذا بالإسلام .

ولا يظهر تفسير حبل الله بالجماعة والاجتماع ، وإنما الاجتماع هو نفس الاعتصام ، فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه ، عليه نجتمع ، وبه نتحد ، لابجنسيات نتبعها ، ولا بمذاهب نبتدعها ، ولا بسياسات نخترعها ، ثم نهانا عن التفرق والانفصام بعد هذا الاجتماع والاعتصام ، لما في التفرق من زوال الوحدة ، التي هى معقد العزة والقوة ، وبالعزة يعتز الحق ، فيعلو في العالمين . وبالقوة يحفظ هو وأهله من هجمات المواثبين وكيد الكائدين ، فهذا الأمر والنهي في معنى الأمر والنهي في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٥٩ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

(٣) رواه الطبراني وإسناده صحيح : انظر زاد المسير في علم التفسير ج ١ ص ٤٣٢ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ١٥٣ .

وفي حديث النواس بن سمعان الذي رواه الترمذي وغيره : « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبتي الصراط سوران ، وفي السورين أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتعوجوا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه ، قال : فالصراط المستقيم هو الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، والداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن » وهذا الحديث صحيح [١] .

فحبل الله هو صراطه وسبيله ، وما أشرت إليه هنا من بيان أنواع التفرق هو السبل التي نهى الله عن اتباعها في تلك الآية .

فكأن الله – تعالى – يقول : ولا تتفرقوا باتباع السبل غير سبيل الله الذي هو كتابه . فمن تلك السبل المفرقة : إحداث المذاهب والشيع في الدين ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَىْءٍ ﴾ [٢] .

ومنها عصبية الجنسية الجاهلية ، وهى التي نزلت الآية التي تفسرها ومامعها فيها لما كانت بين الأوس والخزرج من حروب طويلة قضى عليها الإسلام [٣] .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٨٢ والترمذي ج ٤ ص ٣٥ والحاكم في المستدرك ج ١ ص ٧٣ ، وجاء في صحيح الجامع الصغير برقم ٣٧٨٢ وانظر « بحوث في أصول التفسير » د. محمد لطفي الصباغ ص ١٠٣ ، المكتب الإسلامي ط ١٠ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٥٩ .

(٣) انظر : حياة محمد : محمد حسين هيكل ص ٢٢٣ ، والسيرة النبوية ص ٢٢٣ ، للسيد أبي الحسن الندوي ، طبعة دار إحياء التراث بقطر .

وقد ورد النهي عن عصبية الجاهلية في كثير من الأحاديث منها الصحيح والحسن كقوله ﷺ : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرىء مسلم بغير حق ليهريق دمه » [١] رواه البخاري من حديث ابن عباس وقوله ﷺ : « **ليس منا من دعا إلى عصبية** » [٢] .

وقد اعتصم في هذا العصر أهل أوربا بالعصبية الجنسية ، كما كانت العرب في الجاهلية ، فسرى سم ذلك إلى كثير من المسلمين المتأثرين بالأوربيين ، فحاول بعضهم أن يجعلوا في المسلمين جنسيات وطنية لتعذر الجنسية النسبية . ويوجد في بعض البلاد الإسلامية من يدعو إلى هذه العصبية الجاهلية – وهي دعوة فاسدة مناهضة للإسلام [٣] وهي من مقدمات الخراب والدمار ، لا من وسائل التقدم والعمران ، فالإسلام يأمر باتحاد واتفاق كل قوم تضمهم أرض وتحكمهم الشريعة على الخير والمصلحة فيها ، وإن اختلفت أديانهم وأجناسهم . ويأمر مع ذلك باتفاق أوسع ، وهو الاعتصام بحبل الله بين جميع الأقوام والأجناس لتتحقق بذلك الأخوة في الله ، ولذلك قال بعد الأمر بالاعتصام والاجتماع والنهي عن التفرق : ﴿ وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَٰنًا ﴾ [٤] يشير إلى ماكان عليه المؤمنون في عصر التنزيل من أخوة الإيمان التي بها قاسم الأنصار المهاجرين أموالهم

---

(١) انظر صحيح البخاري ، بشرحه فتح الباري ج ١٢ ص ٢١٠ – ٢١١ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة السلفية .

(٢) رواه أبو داود من حديث جبير بن مطعم ، وانظر تفسير المنار ج ٤ ص ٢١ .

(٣) انظر المنار ج ٦ ص ١٠ ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، طبعة ثانية أعيدت بالأوفست .

(٤) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

وديارهم ، وبها كانوا يؤثر بعضهم بعضا بالشيء على نفسه ، وهو في خصاصة وحاجة شديدة إلى ذلك الشيء ، بعد ماكان بينهم في الجاهلية من العداوة والبغضاء وتسافك الدماء ، ماهو معروف في جملته لعامة المسلمين ، وفي تفاصيله الغريبة للمطلعين على أخبارهم المروية والمدونة .

ومنها أن الحروب تطاولت بين الأوس والخزرج مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الإسلام ، وألف الله بين قلوبهم برسوله - ﷺ .

فهذا بعض من أفادهم الإسلام في حياتهم الدنيا ، وقد أنقذهم فيما يستقبلون من أمر الآخرة مما هو شر ، وأدهى وأمر ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [1] .

وإنني سأتناول في هذا البحث الوحدة الإسلامية بين النظرية والتطبيق من خلال النقاط التالية :

(١) بسقوط الخلافة انفرط عقد الأمة الإسلامية ، ومنذ ذلك اليوم لم يلتئم شملها بصورة عملية تجعل منها قوة فاعلة في عالمنا المعاصر .

(٢) سقوط الخلافة الإسلامية كان مخططا له من قبل أعداء الإسلام .

(٣) العوامل الذاتية التي رسخت ظاهرة الانفصال والفرقة بين شعوب العالم الإسلامي .

(٤) الأمة الإسلامية لها القدرة على إقامة وحدة إسلامية تؤلف بين أبنائها في ظل الأوضاع الدولية المتغيرة .

(٥) مقومات الوحدة بين شعوب العالم الإسلامي .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

(٦) الخطوات العملية لتحقيق هذه الوحدة المنشودة .

والله أسأل أن يوفقني لإبراز هذا الموضوع الهام الذي شغل بال كثير من أهل العلم والمخلصين من أبناء المسلمين في شتى بقاعهم ، والله الهادي إلى أقوم السبل ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

* * *

أولا : نشأة الخلافة وتطورها :

لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ، فلم يصدق العرب أنه مات [١] ، ونسوا أنه رسول قدخلت من قبله الرسل ، وغابت عنهم – من هول المفاجأة – آيات تعلمهم أن الله لم يكتب الخلد لأحد من البشر ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْنَ مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾ [٢] وأن ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [٣] .

وكان طبيعيا أن يطمع في الخلافة كثيرون ، وأن تحاول كل جماعة ترشيح رئيسها ليتولى أمر المسلمين ، فكانت الأنصار تميل بالخلافة إلى سيد الخزرج : سعد بن عبادة [٤] ، لكن الأمر لم يتعد الترشيح ، إذ لم يكن سعد هذا قادرا على ضم صفوف الأوس والخزرج ، فأضعف القوم خلافهم ، ولم يتم لهم ما أرادوا [٥] ، واعتقد بنو هاشم أن الخلافة ينبغي أن تكون فيهم ، ورأوا علي بن أبي طالب أحق الصحابة بها ، لأنه ربيب النبي وابن عمه وزوج ابنته فاطمة [٦] ، ومن أول الناس إسلاما ، وأوسعهم علما [٧] .

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٩ ، طبعة المطبعة الأزهرية ١٣٠١ هـ وطبعة النجار ١٣٤٨ هـ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٣٤ .

(٣) سورة الرحمن ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) سيرة ابن هشام ١٠١٥/٢ ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية وطبعة الحلبي ١٣٤٨ هـ – ١٩٣٠ م .

(٥) زد علي هذا أن سعد بن معاذ ، سيد الأوس ، كان قد توفي قبل وفاة النبي ﷺ ، انظر ابن هشام ج ٢ ص ٦٧٤ .

(٦) قارن فرق الشيعة « للنوبختي » ص ٢ بالمعارف (لابن قتيبة) ص ٧٠ .

(٧) الكامل ج ٢ ص ٣٧ .

والمهاجرون الذين تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا من مكة إلى المدينة كانوا يريدون الخلافة فيهم [١] ، ويظهرون ميلهم بها إلى أبي بكر الصديق [٢] ، فهو أول السابقين إلى الإسلام من الرجال [٣] وصاحب النبي في الغار بشهادة القرآن ، لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [٤] ووالد زوجته المحببة إلى نفسه عائشة – رضي الله عنها – [٥] ورفيق النبي ﷺ في مواقف دعوته إلى الله تعالى . وانطفأت الفتنة حينما سمع الصحابة حديثا يرويه أبو بكر عن النبي ﷺ يقول فيه : « **الأئمة من قريش** » [٦] وقد فسره ابن خلدون بأنه ﷺ راعى ماكان لقريش في عصره من القوة والعصبية التي يرى ابن خلدون أن عليها تقوم الخلافة أو الملك ، ولهذا قال بعض أهل العلم : يشترط في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم ، وتجتمع الكلمة على حسن الحماية [٧] .

---

(١) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٩٧ القاهرة سنة ١٩٢٨ م وطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤١ م .

(٢) فرق الشيعة « للنوبختي » ص ٣ ، صححه محمد صادق ، النجف سنة ١٣٣٥ هـ .

(٣) الكامل (لابن الأثير) ج ٢ ص ٣٨ .

(٤) سورة التوبة ، آية : ٤٠ .

(٥) الكامل ج ٢ ص ٧٧ .

(٦) من حديث رواه أحمد عن أنس ورجاله ثقات ، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٢/٥ وقال المنذري في الترغيب والترهيب : إسناده جيد ، انظر المنتقى حديث رقم (١٢٩٩) ورواه أحمد في حديث آخر بلفظ « الأمراء من قريش » قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح ، خلا سكيت بن عبد العزيز وهو ثقة (١٩٣/٥) وقال المنذري : ورواته ثقات (انظر المنتقى /١٣٠٠) .

(٧) انظر مقدمة ابن خلدون ج ٢ ، ص ٦٩٥ ، ٦٩٦ ط. لجنة البيان العربي الثانية بتحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، وانظر كيف نتعامل مع السنة النبوية د. يوسف القرضاوي ، ص ١٣٠ .

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – للأنصار : « لا ترضي العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم » [١] وحينئذ قال الأنصار : « منا أمير ومنكم أمير » فأبى المهاجرون ، وبايع عمر وأبو عبيدة أبا بكر [٢] فاقتدى بهما الأنصار إلا بعض الخزرجيين ثم وافق أكثرهم بما يشبه الإجماع ، ولا سيما حين استيقنوا أن الأمر سيكون شورى بينهم وبين المهاجرين [٣] .

وخلف رسول الله ﷺ لأبي بكر في المنطقة الوسطى من الحجاز حكومة واحدة قوية تشتمل على مكة والمدينة وكثير من المناطق المجاورة [٤] وأنه جعل من رعايا هذه الحكومة « أمة » واحدة ذات شخصية متميزة وكيان أصيل [٥] ، وأنه أحل في المجتمع الإسلامي رابطة الدين وإخاء المؤمنين محل العصبية البغيضة والشعور القبلي المقيت [٦] لكن هذه الوحدة السياسية المثالية أخذت تضعف بعد وفاة الرسول ﷺ ولا سيما بين القبائل التي خضعت للإسلام خضوعا ظاهريا ، وسمَّت الزكاة « أتاوة » [٧] وامتنعت هذه القبائل عن دفع الزكاة إلى أبي بكر ، وأولئك هم أهل الردة [٨] الذين اضطر أبو بكر إلى محاربتهم إلا أن

---

(١) عمر بن الخطاب (لابن الجوزي) ٣٤ ، ٣٥ انظر : « تاريخ عمر » .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٠١٦ .

(٣) الكامل ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٤) ابن هشام ج ٢ ، ص ٩٣٣ .

(٥) انظر : Encyc Lopediede de I,Lslan (Art.Unna) 4/1010

(٦) انظر : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٤٢ (أرنولد) طبعة القاهرة ، ١٩٤٧ ، ترجمة حسن إبراهيم وعابدين .

(٧) الكامل ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٨) الأحكام السلطانية (للماوردي) ص ٤٤ ، مطبعة الوطن بمصر سنة ١٢٩٨ هـ .

يرجعوا إلى الدين ويتعهدوا بإقامة أركانه [١] ، وإلا فلا يهادنون ولا يصالحون [٢] .

وتوفى أبو بكر في الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة ١٣ هـ بعد أن قضي على فتنة المرتدين ، وأحرز أعظم الانتصارات في حركة الفتوح ، فكان بعد رسول الله من أكبر مؤسسي الدولة الإسلامية [٣] .

واستشار أبو بكر – رضي الله عنه – قبل وفاته الصحابة في استخلاف عمر ، فحمدوا له ذلك حتى كأنهم انتخبوا عمر انتخابا ، وكتب لعمر بالخلافة عهدا ، تاركا له بعد وفاته مقاليد الأمور [٤] .

ولا ريب أن عصر عمر هو العصر الذهبي للإسلام ، وأنه كمل عهد أبي بكر ، وأن عمر نفسه كان أشهر خلفاء المسلمين ، وحسبك ما تم من الإصلاح في أيامه لشئون الإدارة والمال حتى قالوا : عمر أول من دون الدواوين ، فقد سمى للمقاتلين من أهل الحجاز أو من « الروادق » المنضمين إليهم من عرب الجزيرة [٥] ولعائلاتهم من النساء والصبيان مرتبات ثابتة عرفت بالعطاء [٦] ، وقدر ذلك العطاء حسب قرابتهم من النبي ﷺ [٧] أو شهودهم بدرا الكبرى ، أو حضورهم المواقع المشهورة كالقادسية واليرموك [٨] .

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ١ ص ١٨٨١ – ١٨٨٤ ، الطبعة الأولى ١٩٠١ م .

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، د. صبحي الصالح ، ص ٢٦٠ ، دار العلم للملايين سنة ١٩٨٠ م .

(٤) الكامل ج ٢ ص ٢٩٢ ، وقارن بكتاب تاريخ عمر (لابن الجوزي) ص ٣٦ .

(٥) انظر المصباح المنير ٣٤٤/١ – ٣٤٥ للفيومي ، طبعة القاهرة .

(٦) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٤٩ ، شركة طبع الكتب العربية ، مصر ط ١٣١٩/١ هـ – ١٩٠١ م .

(٧) الخراج لأبي يوسف ص ٥٠ ، المكتبة السلفية ، ط ٢ ، القاهرة سنة ١٩٥٢ م وطبعة باريس ١٩٢١ م .

(٨) الكامل ج ٢ ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

وفكر عمر في الحكم بعده من غير أن يستقر على رأي ، ولما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي في أواخر سنة ٢٣ هـ ألح عليه المهاجرون أن يستخلف [١] ، فخاف عاقبة الاستخلاف وقال : « إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني » ، وآثر أن يحصر الأمر في ستة من كبار أصحاب النبي ﷺ ليختاروا واحدا منهم فيبايعه المسلمون ، وهم : على بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأولئك هم أهل الشورى [٢] الذين فوض إليهم التشاور في هذا الأمر الخطير .

وخلع كل واحد من هؤلاء الصحابة نفسه عن اختيار الخليفة ، وعهد إلى الآخر باختيار الخليفة [٣] ، حتى انتهى الأمر إلى عبد الرحمن ابن عوف ، فأعلن في المحرم سنة ٢٤ هـ تولية عثمان بن عفان [٤] ، وساء بني هاشم ذلك الاختيار . ولم يملكوا أنفسهم من إبداء امتعاضهم لتحامل القوم عليهم [٥] ، وإن وجد عليّ نفسه مضطرا لمبايعة عثمان كما بايع من قبل أبا بكر وعمر [٦] ، وبعد مقتل عثمان – رضي الله عنه – لجأ الناس إلى علي يقولون : أمير المؤمنين ، فلم يجد بدا من قبول الخلافة ، وقد عرضها عليه عرب الأمصار وأهل بدر والمهاجرون والأنصار [٧] ،

---

(١) تاريخ عمر لابن الجوزي ص ١٥٢ .

(٢) الكامل ج ٣ ص ١٥٢ .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٩ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ١٦٦ – القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ وطبعة المطبعة الأزهرية ١٣٤٨ هـ ١٩٢٠ م .

(٥) قارن بالكامل ج ٣ ص ٣٥ .

(٦) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٢ « للبلاذري » تحقيق غموتين .

(٧) العقد (لابن عبد ربه) تحقيق محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة سنة ١٩٤٠ م مصر .

وأطلق عليه شيعته لقب « الإمام » [١] وحرض الثوار عليا علي عزل العمال الذين عينهم عثمان ، فأذعنوا جميعا إلا معاوية في الشام الذي علق علي المنبر قميص عثمان [٢] وطفق يحض الناس على الثأر للخليفة المقتول .

وعندما سار علي إلي العراق خرجت السيدة عائشة وأنصارها للقائه وأخذت تحمس الجند وهى في هودجها على الجمل ، ثم عقر جملها وقتل دونه سبعون رجلا ، وعرف هذا اليوم بموقعة الجمل [٣] وأعاد علي عائشة إلى مكة محاطة بالتكريم [٤] وتابت هي إلي الله أسفا على ما أريق من دماء المسلمين [٥] .

ثم كان يوم صفين ، وتحكيم الحكمين ، ثم بداية الوهن ، وتصدع الصفوف بين أتباع علي ، وعرف معاوية كيف ينتهز الفرصة بإثارة الاضطرابات في أرجاء البلاد [٦] ، فازدادت نقمة الخوارج ، وقرروا قتل معاوية وعلي ، فلم ينجحوا في قتل أولهما ، أما علي فقتله عبد الرحمن ابن ملجم في المسجد في شهر رمضان وهو يردد : « الحكم لله لا لك ياعلي » [٧] وبمصرعه انتهت خلافة الراشدين ، وخلا الجو لمعاوية ليعلن خلافته بالشام ، ويدخل على نظام الحكم مبدأ الوراثة الذي ينافي روح الإسلام [٨] .

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٩٨ .

(٢) الإمامة والسياسة (لابن قتيبة) ج ١ ص ١٣٣ صححه محمد محمود الرافعي ، القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ/ ١٩٠٤ م .

(٣) الكامل ج ٣ ص ١٢٧ .

(٤) المصدر السابق ١٣٢/٣ .

(٥) انظر عائشة والسياسة : للأستاذ سعيد الأفغاني ، ص ٢٤٢ الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، سنة ١٩٥٧ م .

(٦) الكامل ج ٣ ص ١٣٨ ، ١٨٠ .

(٧) المصدر السابق ج ٣ ص ١٩٦ .

(٨) المصدر السابق ج ٣ ص ١٧٨ .

وعندما فكر معاوية بتوريث ابنه يزيد الخلافة من بعده ، استحدث للنظم الإسلامية تقليدا جديدا ، غير به سنة السلف ، وتشبه بملوك الفرس والبيزنطيين ، وحول الخلافة – كما قال الجاحظ – إلى ملك كسروى وعصب قيصري » [١] ، وأرسل معاوية ابنه يزيد في عهد مبكر إلى حرب الثغور [٢] وكتب إلى عماله بتقريظه ومدحه [٣] ؛ ليزيل عنه ما ألصقه به أعداء البيت الأموي من الخلاعة وشرب الخمر وإيواء المغنين [٤] ثم أخذ له البيعة بنفسه من وفود الأمصار ، حتى ولو كانوا كارهين [٥] .

سقوط الخلافة الأموية :

بدأت الخلافة الأموية تضعف بعد موت معاوية – رضي الله عنه – وتولى يزيد الخلافة بعده ، فقد كان الحسين بن على أول الخارجين على يزيد ، وقد تمسك بالخلافة بعد تحريض أهله إياه ، وتأييدهم له ، وسار بعدد قليل من أصحابه إلى الكوفة التى قتل فيها من قبل أبوه ، وقاتل آل البيت قتال الأبطال ، في سهل لا ماء فيه بالقرب من الفرات ، سماه الحسين « كربلاء » إذ لم يكن فيه إلا الكرب والبلاء [٦] ومازال

---

(١) رسالة في معاوية والأمويين ص ١٦ صححها ونشرها عزة العطار ، القاهرة ، سنة ١٣٦٥ هـ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٢٧١ ، تحقيق هوتسما ، الطبعة الأوربية في جزأين ١٨٩٣ م .

(٣) الكامل ج ٣ ص ٢٥٠ .

(٤) الأغاني ج ١٦ ص ٧٠ لأبي الفرج الأصفهاني – ٢٠ جزءا ، طبعة بولاق ، سنة ١٢٨٥ هـ .

(٥) انظر : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٥٦ ، والإمامة والسياسية ج ١ ص ٢٦٣ .

(٦) معجم البلدان ج ٧ ص ٢٢٩ ، لياقوت الحموي ، تحقيق أمين الخانجي ، ٨ أجزاء القاهرة ، سنة ١٣٢٣ هـ .

أنصاره يتنافسون بالقتال بين يديه حتى أصبح أغلبهم ما بين قتيل وجريح [١] ثم نزل إليه رجل نكرة فركب صدره وحز رأسه الشريف [٢] وكانت هذه هى (الفتنة الثانية) [٣] التي حاقت بالمسلمين بعد الفتنة الكبرى – بمقتل عثمان ، رضي الله عنه – فانفصمت عري الوحدة ، وكثرت الفرق ، وتشعبت الآراء ، واستحالت الخلافة الأموية « ملكا عضوضا » وإن خرج منها حكام أكفاء ، أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية ، ووسعوا رقعة الدولة .

ومما ساهم في سقوط الدولة الأموية الصراع بين أفراد البيت الأموي ، والدليل على هذا هو أن مروان كان له موقف من ولاية يزيد في حياة معاوية ولا نود أن نفصل هذا الموضوع الذى أشبعته المصادر دراسة وبحثا [٤] .

الخلافة في الدولة العباسية :

قامت الدولة الإسلامية العباسية على أكتاف الأعاجم ، لأن العباسيين لم يجدوا بدا من إشراكهم في السلطة ، و لم يكن عجبا أن تأثروا بهم ، فغلبت على خلفائهم نزعة استبدادية أوشكت أن تذكر الناس بأكاسرة الفرس ، وبالخلافة العباسية دخلت الأمة الإسلامية طورا جديدا ، حتى قال المؤرخون : إن دولة بني أمية عربية ، ودولة بني العباس

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٥٥ ، لأبي الفرج الأصفهاني ، النجف سنة ١٣٥٣ هـ .

(٢) انظر فرق الشيعة ص ٢٥ ، « للنوبختى » صححه محمد صادق ، النجف سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م .

(٣) انظر الكامل ج ٣ ص ٢٦٤ .

(٤) انظر : النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية ، تأليف : رياض عيسى ، دار حسان للطباعة والنشر ، طبعة أولى ، سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م وانظر خلافة بني أمية ، ص ٧٩ ، ٨٠ نبيه عاقل ، والتاريخ السياسي للدولة العربية ج ٢ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، سنة ١٩٦٦ م ص ٩٥ .

أعجمية [١] واستطاع الحكام العباسيون أن يفرضوا على الناس طاعتهم باسم الدين ، ولا سيما حين كان الخليفة يرتدي بردة النبي ﷺ في المواسم والأعياد [٢] .

ولقد أصبحت الخلافة في العصر العباسي وراثية تماما ، ووجهت في هذه المسألة أقسى ضربة إلى تقاليد العرب حين تجاهل العباسيون مشكلة السن ، فعهدوا بالخلافة إلى الذين لم يبلغوا سن الرشد : كما عهد الرشيد إلى ابنه الأمين وكان عمره خمس سنوات فقط ، وربما كانت هذه الطريقة معروفة في العهد الأموي ، إلا أن العباسيين توسعوا فيها وجروا بها على الخلافة كثيرا من الويلات [٣] .

النفوذ التركي ٢١٨ هـ - ٣٣٤ هـ :

لعل أهم ما نلاحظه في هذه الفترة أن ظروفا جديدة طرأت فغضت من قيمة الخلافة ومكانة الخليفة حتى بدأت سلطاته تتقلص رويدا ، بعد أن تدخل الأتراك في شئون الدولة حتى في اختيار الخلفاء وتعيينهم وعزل بعضهم أحيانا ، ومن ذلك أن المعتز لما جلس على سرير الخلافة قال بعض الظرفاء : أنا أعرف مقدار خلافته ، قالوا له : فكم يعيش وكم يملك ؟ قال : ما أراد له الأتراك أن يعيش [٤] .

---

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ٦٤ (للجاحظ) تحقيق عبد السلام هارون سنة ١٩٤٨ م .

(٢) النظم الإسلامية (لحسن إبراهيم) ص ٤٠ وعلى إبراهيم حسن بالقاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، سنة ١٩٥٩ م .

(٣) المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ١٩ (ناجي معروف) الطبعة الأولى ببغداد سنة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

(٤) الفخري في الآداب السلطانية (لمحمد بن على بن محمد بن طباطبا المعروف بابن الطلقي) شركة طبع الكتب العربية بمصر سنة ١٣١٧ هـ .

النفوذ البويهي ٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ :

في هذه الفترة انحط مركز الخليفة انحطاطا شديدا ، وفقد حرمته ومكانته ، فقد جاء معز الدولة البويهي على رأس جيش أعجمي ، وفتح به بغداد وأنشأ في مركز الخلافة إمارة وراثية وسمي نفسه أمير الأمراء .

وأبقى البويهيون على الخلافة ، ولكنهم انتزعوا من الخليفة كل سلطة تنفيذية . وهكذا لم يبق للخلفاء في هذا العصر إلا القليل من النفوذ الديني يمكنهم من تعيين القضاة والوعاظ وأئمة المساجد والقائمين بالشئون الروحية المحضة ، وبكلمة واحدة أضحى الخليفة أقرب إلى رجل الدين المعظم ، بينما كانت السلطة السياسية من نصيب أمير الأمراء [١] .

النفوذ السلجوقي ٤٤٧ هـ - ٥٩٠ هـ :

اضطربت الأحوال في إقليم العراق مما جعل الخليفة القائم بطغرليك مؤسس الدولة السلجوقية ، الذي دخل بغداد سنة ٤٤٧ هـ فقضى على البويهي ، وفي هذا العهد السلجوقي حاول الفاطميون أن يستولوا على العراق ، واستطاع رجل منهم يقال له البساسيري أن يسير إلى بغداد وأن يخضعها لنفوذه ، واستطاعوا أن ينتزعوا بلاد الشام أيضا من الفاطميين ، وانقطعت الدعوة إلى الفاطميين منذ أعلن أمير المرابطين يوسف بن تاشفين اعترافه للعباسيين بالخلافة .

وقد استعادت الخلافة في هذه الفترة شيئا من عزتها وكرامتها ، فعاد الناس يلقبون الخليفة « بأمير المؤمنين » [٢] .

---

(١) المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ٢٢ ، (ناجي معروف) .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

ولقد ظلت السلطة بأيدي السلاجقة إلي وفاة السلطان مسعود السلجوقي سنة ٥٧٤ هـ ، ثم زالت هذه السلطة منذ تلك السنة عن العراق .

وتمكن الخليفة الناصر لدين الله العباسي من الإجهاز على آخر سلاطين السلاجقة سنة ٥٩٠ هـ وقال : إنه يريد أن يصلح نظم الخلافة ، وربما تم له ما أراد في بعض مظاهر الإصلاح ، وجاهر الناصر بتعظيم العروبة في ديار الإسلام ، فأتاح بهذا للخلافة أن تبقى بنجوة عن نفوذ الأعاجم الطامعين ، وظلت الخلافة العباسية مستقلة نحو ٦٦ سنة حتى سقوط بغداد بأيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ [١] .

عهد الفاطميين سنة ٢٩٧ - ٥٦٧ هـ :

قامت الخلافة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٧ هـ وانتقلت إلى مصر في عهد المعز لدين الله سنة ٣٦٢ هـ وإلي فاطمة بنت الرسول ﷺ ينتسب مؤسسو هذه الخلافة ، الذين رغبوا منذ البداية في مزاحمة الخلافة العباسية على شئون الحكم .

أخذ الفاطميون بمبدأ الوراثة في الحكم كالعباسيين ، وأوجبوا على الإمام أن يعين اسم ولي عهده قبل موته لئلا تخلو الأرض من إمام .

وقد وضعوا كثيرا من النظم الإدارية والمالية ، أحكموا بها أمور الخراج والحسبة والجوالي والأحباس ، وبسطوا سلطانهم على البلاد الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى نهر الفرات شرقا ، ومن آسيا الصغرى شمالا إلى بلاد النوبة جنوبا [٢] .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٤ .

(٢) انظر النظم الإسلامية (لحسن إبراهيم) ص ٧٩ - ٨٥ .

ونشأت خلافة أخرى للفاطميين في شمالي أفريقية ، وحرص بعض خلفائها على مظاهر الأبهة كما كان يحدث في بلاط قرطبة بالأندلس ، ليظل الخليفة في نظر الناس حاكما دنيويا وإماما روحيا [١] .

سقوط الخلافة العباسية

هناك أسباب كثيرة أدت إلى سقوط خلافة العباسيين سوف أذكرها بإيجاز وهي ما يأتي :

أولا : حملة المغول العسكرية ، بقيادة هولاكو – وسقوط بغداد علي أيدي المغول وأعوانهم [٢] – وأصبحت مدينة بغداد ، ومعها جميع أراضي الدولة العباسية بصورة رسمية جزءا من الممتلكات المغولية ، وذلك عندما مثل المستعصم بنفسه أمام هولاكو وأعلن استسلامه للمغول [٣] وقد كانت نهاية الدولة العباسية في سنة ستمائة وستة وخمسين للهجرة في يوم الأحد الرابع من صفر [٤] .

ثانيا : دور العناصر المسيحية من خارج أراضي الدولة العباسية :

يبدو لنا من الخطأ الكبير القول بأن سقوط بغداد وما نتج عنه من دمار الدولة من مصائب ومحن ، وما تعرضوا له : من القتل والسلب خلال الغزو المغولى – كان سببه المغول بصورة رئيسية وأساسية – وإنما شاركت بعض العناصر المسيحية والإسلامية في القضاء على الخلافة في بغداد [٥] .

---

(١) انظر المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ٢٥ .

(٢) انظر رشيد الدين ، جامع التواريخ ج ٢ ص ٦٩٩ (خلفاء جنكيز خان) ترجمة إلى اللغة الإنجليزية ، فارسية ، مترجم إلى الإنجليزية ، الأستاذ الدكتور / ج.أ. بويل نيويورك سنة ١٩٧١ م .

(٣) انظر ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٨٥ ، تحقيق دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .

(٤) انظر : مجمل فصيحي ، ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٥) انظر تاريخ المغول والعالم الإسلامي – سقوط الدولة العباسية ، د. سعد بن محمد =

لقد بدأت البعثات التبشيرية – الأوربية وغير الأوربية – المسيحية نشاطاتها التبشيرية ، بين الأوساط المغولية ، منذ وقت مبكر جدا ، وذلك لتشجيع أولئك الناس ، وحثهم على اعتناق الديانة المسيحية ، والعمل على إعلاء هذه الديانة السماوية وجعلها أكثر انتشارا .

وكان الغرض من وراء هذه البعثات التبشيرية المسيحية ، ونشاطاتها ، يهدف إلى تحقيق أمرين ، في غاية الأهمية :

أ – نشر هذه الديانة في هذه الأصقاع .

ب – السعي الحثيث بجد ونشاط مضنيين وراء إيجاد نوع من التحالف الشرقي – الغربي ، ثم القيام بعد ذلك بحملة صليبية أخيرة ضد المسلمين . والقضاء على دينهم بصورة نهائية [1] .

وكانت الدويلات المسيحية الصليبية في الشرق الأوسط وعلى رأسها دويلاتهم في أرمينيا الصغرى وفي أنطاكية وفي طرابلس ممن عرف أنهم ساهموا مساهمة فعالة في حملة المغول ضد الأقطار الإسلامية ، فقد انضمت قواتهم العسكرية تحت خدمة المغول ، فانضووا تحت لوائهم على أمل مكاسب إقليمية من أراضي المسلمين ، وخاصة استعادة بيت المقدس ، ومن ثم القضاء المبرم على الإسلام كدين رئيسي في المنطقة .

ثالثا : دور المسيحيين من داخل أراضي الخلافة العباسية :

لم نجد في المصادر التي تسنى لنا الرجوع إليها أية إشارة تدل على

= حذيفة الغامدي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

(١) آرنولد ، سيرثومان ، الخلافة ، لندن ، سنة ١٩٧٠ م ص : ١٢٥ ، وكوك ، رتشاد بغداد ، مدينة السلام ، لندن ، سنة ١٩٢٧ م ص ١٣٠ – ١٣٩ وساووندرز ، تاريخ الفتوحات المغولية ، ص ٧٩ ، يابا الله ، تاريخ يابا الله الثالث ، ص ٤ .

أن الجالية المسيحية هناك : قد ساهمت مع المغول ، أو قدمت لهم تسهيلات ، أو مساعدات ضد الدولة العباسية ، أثناء اقتحام المغول لأراضي العراق عامة ، وبغداد خاصة . على الرغم من أن بعض التقارير التي بين أيدينا تشير بوضوح إلى أن منازل أتباع الدين المسيحي كان يقوم على حراستها جنود مغوليون ، أرسلوا خصيصا للقيام بهذا الغرض أثناء اجتياح بغداد ، وقد كان موقف المسيحيين في بغداد موقفا إيجابيا بوجه عام ، وذلك بالعكس تماما من موقف المسيحيين الصليبيين في الشام هذا على الرغم من أن فئات قليلة تصرفت تصرفا صلفا ، جرحت شعور المسلمين في هذه المحنة الكبرى [١] .

رابعا : دور العناصر المسلمة في إسقاط بغداد وتدمير الخلافة العباسية :

كان هناك عناصر ، تتكون من المسلمين ، وقوى شاركت فعلا في حملة المغول التي قادها هولاكو ضد أراضي العراق ، ممن شاركت في كارثة بغداد ، والإطاحة بحكومتها العباسية ، وتنقسم هذه العناصر إلى فئتين رئيسيتين ، تتكون الأولى من أولئك الذين اتهمتهم بعض المصادر بالقيام بالتآمر الغادر مع القوات المغولية الغازية ، ضد حكومة بغداد العباسية [٢] .

أما المجموعة الثانية (من العناصر والقوى المسلمة) فيتكون أعضاؤها ممن ثبت أنهم اشتركوا فعلا مع المغول ، مشاركة فعالة ، في

---

(١) انظر : الحوادث الجامعة ص ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٣٢٩ ، وص : من ٣٣٣ - ٣٣٤ ، ابن القوطي .

(٢) انظر : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٩٠ ، اليونيني ، والبداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٠٢ ، الإمام ابن كثير ، طبعة بيروت ، سنة ١٩٦٧ م .

غزواتهم تلك ضد الأراضي الإسلامية ، وممن تلطخت أيديهم بدماء إخوانهم المسلمين [١] كما أن هناك بعض الحكام المسلمين شارك المغول في حملتهم الغازية تلك – بقيادة هولاكو [٢] .

الخلافة الإسلامية في تركيا

تأسست الدولة العثمانية على يد الأتراك العثمانيين بعد تفكك الإمبراطورية السلجوقية ، ومؤسس الدولة العثمانية هو عثمان الأول الملقب بـ « الغازي » وتعاقب على عرش الدولة العثمانية عدد كبير من السلاطين بدءا من السلطان عثمان الأول (١٢٩٩ – ١٣٢٦ م) تاريخ استقلاله ١٢٩٩ م ، ثم جاء بعده السلطان أورخان (١٣٢٦ – ١٣٦٠ م) واستمر توليهم للحكم الواحد تلو الآخر إلى أن تولى السلطان العثماني الرابع والثلاثون (عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد) وقد ارتقى العرش بعد أن قطع الأطباء الأمل في شفاء السلطان مراد .

وفي استانبول التي كانت تعج بجواسيس الدول الأجنبية نشطت السفارات في جمع المعلومات عن السلطان الجديد المرتقب ، ولقد أتى السلطان عبد الحميد إلى الحكم في فترة مضطربة جدا من تاريخ الدولة العثمانية ، فالأوضاع كانت تغلي في البلقان والثورات قائمة في هرسك وفي بوسنة ، وفي الجبل الأسود ، وفي بلغاريا ، والدول الأوربية

---

(١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ص ١٩٨ ، أبو شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل (ويعرف هذا الكتاب بالذيل على الروضتين) القاهرة ، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م وانظر : دول الإسلام ، ج ٢ ص ١٢٢ ، وانظر : فوات الوفيات ج ٢ ص ٣١٣ ، ابن شاكر الكتبي .

(٢) انظر : جامع التواريخ ، رشيد الدين ، ج ٢ ص ٦٨٨ .

وروسيا تؤجج هذه الثورات وغيرها ، وتمدها بالسلاح وبالمتطوعين ، وتضغط بذلك على الدولة العثمانية التي بقيت وحيدة أمام هذه الدول جميعا [١] .

سياسة السلطان تجاه الحركة الصهيونية :

طرد اليهود من كثير من البلدان الأوربية التي سكنوا فيها – دون أن يتعايشوا ويتآلفوا وينسجموا مع شعوبها ، بل تقوقعوا على أنفسهم وعاشوا في أحياء منعزلة مقفلة عليهم أطلق عليها اسم « الجيتو Ghettosystem » فكرهتهم هذه الشعوب ونبذتهم وأساءت معاملتهم ، وحرمت عليهم في معظم الأحيان تولي المناصب العامة [٢] .

ولما كانت فلسطين تقع آنذاك ضمن أملاك الدولة العثمانية ، فقد اتجهت أنظار ومحاولات زعماء اليهود إلى السلطان عبد الحميد لعله يوافق على مقترح من مقترحاتهم العديدة لتشكيل نواة صغيرة في فلسطين أو فيما يجاورها كخطوة أولي تتبعها خطوات أخرى للوصول إلى الهدف النهائي .

وقد بذل اليهود كثيرا من المساعي لدى السلطان تعرض عليه جهود اليهود في تعمير تركيا ، وتجديد شبابها مقابل السماح لهم بالاستيطان في أراض في شرق الأردن وسوريا الجنوبية ، فرفض الطلب من قبل السلطان الذى كان يحدس المرامي الحقيقية لليهود قائلا : « إن اليهود يستطيعون العيش بسلام فى أية جهة من المملكة إلا في فلسطين ؛ لأن الدولة العثمانية

---

(١) انظر الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، للدكتور محمد كامل الدسوقي ص ٢١٤ .

(٢) السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده ، بقلم أورخان محمد علي ، دار الوثائق بالكويت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

ترحب بالمضطهدين ، ولكنها ترفض مساعدة اليهود في إقامة مملكة لهم في فلسطين أساسها الدين » [١] .

سقوط الخلافة الإسلامية كان مخططا من قبل أعداء الإسلام وبخاصة اليهود :

لقيام دولة إسرائيل في فلسطين كان لابد من سقوط الخلافة الإسلامية ، وهذا بعينه ماجاء في بروتوكولات حكماء صهيون ، حينما تنبأ به نيلوس بعد اطلاعه على هذه البروتوكولات وذلك منذ سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) [٢] وذلك يؤكده طلب قرصو زعيم اليهود في سالونيك إلى السلطان عبد الحميد إعطاء فلسطين لهم ليتخذوها وطنا قوميا ، فلما رفض الخليفة توعده الزعيم اليهودي [٣] وكان من بين من سلمه قرار العزل بعد ذلك اثنان من زعماء اليهود [٤] .

وللقضاء على الخلافة الإسلامية التي أظلت بلاد الإسلام منذ عهد النبي ﷺ وقبل أن يقضي على السلطان المجاهد عبد الحميد – كما أوصى بذلك أحد مؤتمرات التبشير كان هناك تمهيد يتلخص في الآتي :-

أولا : فصل الدين عن الدولة :

إن فكرة فصل الدين عن الدولة كانت من عمل اليهود ، كما أشار إلى ذلك وليام غاي كار الأمريكي [٥] وهذه الفكرة كانت غريبة عن

---

(١) انظر « موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية » ص ٥٨ .

(٢) انظر : الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة محمد خليفة التونسي .

(٣) انظر المصدر السابق .

(٤) انظر المشروعية الإسلامية العليا ، ص ٢٣١ ، د. علي جريشة .

(٥) انظر : أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام غاي كار ، ترجمة سعيد الجزائري .

الشرق الإسلامي ، ومن ثم كانت الأيدي الأجنبية وراءها سواء كانت أيدى الصليبية المتعصبة أو اليهودية الحاقدة ؛ لأن مثل هذه الفكرة لا توجد في الفقه الإسلامي ، والفكر الإسلامي لم يعرف مثل هذه الفكرة ولم يتصورها ، بل يعرف الفكر الإسلامي عكس ذلك تماما ؛ لأن القرآن الكريم يحرم ذلك ويعتبر ذلك كفرا ، وفتنة ، وجاهلية . ويعرف الفكر الإسلامي أن وظيفة القرآن الأولي ، هي أن يحكم ، لا أن يوضع على الأرفف والمناضد ، أو تحشي به الجيوب ، قال تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ ﴾ (١) ويقول تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ الٓر كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ (٣) وقال جل شأنه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (٤) . وقال : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ (٥) ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٦) .

فالإسلام دين يحكم كل شيء ، قال تعالي : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (٧) والإسلام كما ينظم شئون الفرد والأسرة ينظم أيضا شئون الدولة وشئون المجتمع الدولي وذلك نابع من طبيعة

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٣ .
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٠ .
(٣) سورة إبراهيم ، الآية : ١ .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ٤٤ .
(٥) سورة المائدة ، الآية : ٤٧ .
(٦) سورة المائدة ، الآية : ٤٥
(٧) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

الإسلام العالمية الذي بعث الله به رسوله محمدا ﷺ رحمة للعالمين ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (١) ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٢) ذلك فقه الإسلام وفكره .. الدولة جزء من الدين قسم له لا قسيم (٣) .

وإذا عرفت التفرقة بين الدين والدولة في الغرب نتيجة لاضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء ، وسخريتها بعقائد الناس وعقولهم ، فإن الشرق الإسلامي لم يعرف اضطهاد العلم والعلماء ، بل حفظ لهم الإسلام ، وحفظت لهم أمتهم أكرم مكانة ، وأعز منزلة . ومن ثم فلم يكن هناك محل – لا من الناحية الفكرية ، ولا من الناحية التاريخية – لِبَثِّ فكرة فصل الدين عن الدولة .

ونشأت هذه الفكرة حينما اعتنق حزب الاتحاد والترقي في تركيا الفكرة وعمل على ترويجها ، ثم عمل عن طريق ضباطه علي عزل السلطان عبد الحميد ، ذلك الخليفة الذي رفض أن يعطي فلسطين وطنا لليهود وبصق في وجه زعيمهم قرصو . وصارت الحكومة المدنية في أنقرة هى التي تحكم ، والخليفة في الآستانة بغير سلطان تطبيقا لفصل الدين عن الدولة (٤) .

ثانيا : نشر القومية في مواجهة الخلافة :

كانت فكرة بث القومية هي المعول الثاني من معاول تحطيم الخلافة

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة سبأ ، الآية : ٢٨ .

(٣) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٩ .

الإسلامية بعد بث فكرة فصل الدين عن الدولة ، ونتيجة لهذه الفكرة فقد بدأت تظهر القوميات التالية :-

(١) إثارة القومية الطورانية داخل دولة الخلافة (تركيا) .

(٢) إثارة القومية العربية داخل الولايات التابعة للخلافة .

والقومية التركية تعهدها بالرعاية حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة . بينما انزلق إلى القومية العربية الشريف حسين ظنا منه أنها الوجه الآخر للإسلام ، وقد بدأت الدعوة إلى القومية العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتألفت في بيروت جمعية سرية لهذا الغرض في سنة ١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م [١] واعتقادا من الشريف في حسن نوايا الجاسوس (لورانس) ومن ورائه ماكا هون حتى انتهى الأمر إلى أن تحارب جيوش القومية العربية جيوش الخلافة الإسلامية تعضدها الجيوش الإنجليزية التي سارت تحت راية فيصل ابن الشريف حسين لتخرج سوريا لاستقبالها استقبال الفاتحين [٢] .

ثالثا : إسقاط الخلافة الإسلامية :

لقد صنعت الصهيونية العالمية مصطفى كمال أتاتورك ، كما صنعت حزب الاتحاد والترقي ليكون هؤلاء الجسر الذى تعبر عليه للقضاء على الخلافة الإسلامية ، ويتضح ذلك من توقع بيلوس منذ سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) كما أشرت إلى ذلك فيما مضى ، وكذلك تهديد الزعيم اليهودي قرصو للسلطان عبد الحميد بعد أن رفض إعطاء فلسطين لليهود ،

---

(١) راجع تفصيلا لذلك بحثا طيبا عن عوامل ضعف المسلمين ، للأستاذ سميح عاطف الزين دار الكتاب اللبناني .

(٢) انظر : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٤٠ .

وقبل ذلك كله نشروا فكرة فصل الدين عن الدولة ومصدرها المباشر الصليبية ، ومصدرها الغير مباشر الصهيونية ، وفيما قبله نشر القومية العربية على يد لورانس الجاسوس الإنجليزي .

وقد وضعوا شروطا أربعة لاستقلال تركيا وتسليمها للكماليين ، وهى :-

(١) قطع كل صلة بالإسلام .

(٢) إلغاء الخلافة .

(٣) إخراج أنصار الخلافة والإسلام من البلاد .

(٤) اتخاذ دستور علماني بدلا من الدستور القديم [١] .

وفي مارس عام ١٩٢٤ م أعلن « كمال أتاتورك » رئيس تركيا إلغاء منصب الخلافة من بلاده فكان لهذا دوي بالغ في جميع أنحاء العالم الإسلامي [٢] ، وأختم حديثي عن سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا بالسؤال التالي :

هل صارت تركيا – بعد إلغاء الخلافة – في مصاف الدول العظمي ؟

والجواب على ذلك : أن تركيا وبعد مرور أكثر من نصف قرن من إلغاء الخلافة فيها لا توضع في الدرجة الثانية ، ولا الثالثة ، ولا الرابعة ، بين دول العالم .. وكانت قبلها في الدرجة الأولي ، أهذا هو الترقي .. ياحزب الترقي ؟؟ !!

---

(١) انظر : العالم الإسلامي – الاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي ص ٤٦ ، ٤٧ ، أنور الجندي .

(٢) انظر : الإسلام والخلافة في العصر الحديث ، نقد كتاب الإسلام ، وأصول الحكم – الدكتور محمد ضياء الدين الريس ، مكتبة دار التراث ، شارع الجمهورية – القاهرة .

العوامل الذاتية التي رسخت ظاهرة الانفصال والفرقة بين شعوب العالم الإسلامي

بات معلوما أن العالم الإسلامي – بعد الإجهاز على الخلافة الإسلامية ، وما تبعها وما سبقها من تقطيع لأوصال العالم الإسلامي ، وما صاحب ذلك من حملات تبشير واستشراق ، وإن لم تنجح في تنصير المسلمين بما يكافىء الجهود والأموال المبذولة ، فقد أفلحت في بث الشكوك والوهن في عقائد المسلمين وأفكارهم ، ورسخت ظاهرة الانفصال والفرقة بين المسلمين .

أهم أسباب الانفصال والفرقة بين المسلمين هى ما يأتي :

١ – بعد المسلمين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ والبحث عن السعادة والاستقرار في غيرهما .

٢ – الجهل بالإسلام وعدم الإحاطة بعقائده وأحكامه وتشريعاته وأخلاقه وآدابه .

٣ – ضعف التربية الإسلامية الصحيحة ، سواء كان ذلك داخل الأسرة أو في مدارس التعليم على مختلف المراحل .

٤ – نشر القوميات المختلفة بين الأمة الإسلامية ، والبعد عن الوحدة الإسلامية التي تنطلق من المساواة بين المسلمين ، وقد أعلن القرآن الكريم هذا المبدأ المجيد ، ونادت به السنة النبوية المطهرة ، وطبقه المسلمون في مجتمعهم فلم يكن هناك سادة وعبيد ، ولا فقراء وأغنياء ، ولا ملوك وسوقة ، بل كانوا جميعهم متساوين أمام مبادىء الإسلام ونظمه ، كما كانوا إخوة متحابين [1] .

---

(١) قواعد البناء في المجتمع الإسلامي ، ص ١١٦ ، د. محمد السيد الوكيل .

٥ – انتشار البغضاء بين المسلمين ، وهى من الأمور الخطيرة التي زادت الفرقة والشتات ، وقضت على المحبة التي غرسها الإسلام في نفوس المسلمين منذ أن اعتنقوه ، وكانت تشد الناس بعضهم إلى بعض .

٦ – كما أن هناك كثيرا من الآفات الاجتماعية التي ساهمت في توسيع الفرقة والشتاب بين المسلمين ، منها ظن السوء الذي نهى عنه الإسلام في قول الرسول ﷺ : « **إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تناجشوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا** » [١] .

٧ – ومن الآفات التي ساعدت في توسيع الشقة بين المسلمين وأثرت في تماسك الوحدة الإسلامية آفة الحسد ، وهى من أكثر الآفات انتشارا بين المسلمين ، والسبب في ذلك ضعف الإيمان في النفوس ، وعدم التمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة [٢] .

٨ – ومن الأسباب التي عمقت الفرقة بين المسلمين ، وحذر الإسلام عن فعلها : الغيبة والنميمة وقد نهى الله – سبحانه وتعالى – عن الغيبة وصورها بأبشع صورة ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [٣] . وقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت** » متفق عليه [٤] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، ج ٨ ص ٢٣ .

(٢) انظر : كتابنا عناصر الترابط في المجتمع الإسلامي ، دار الثقافة ، الدوحة ، قطر طبعة أولى ، سنة ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .

(٣) سورة الحجرات ، آية : ١٢ .

(٤) انظر صحيح البخاري ، ج ١١ ص ٢٦٤ ، وصحيح مسلم ، برقم ٤٧ .

وهناك أسباب خارجية زادت الفرقة بين الشعوب الإسلامية فرضها الصليبيون والصهيونية للانقضاض على المسلمين ، ولقد اتخذت من الوسائل ما يضمن بقاء الجسد الإسلامي ممزقا هامدا مثخنا بالجراح ، وكان لهم في ذلك أكثر من سبيل أهمها ما يأتي :-

أولا : التغيير السياسي الذي صاحب الغزو الصليبي للشرق الإسلامي ، ولقد أخذ الصليبيون في التغيير السياسي اللازم ، لبقاء سيطرته أولا ، ثم لتحقيق الهدف من هذه السيطرة ثانيا ، وتمثل ذلك فى :

احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م وتونس سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م ومراكش سنة ١٣٣٠ هـ / ١٩١٢ م وللشام سنة ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م وكان احتلال بريطانيا سنة ١٢٧٤ هـ / ١٨٥٧ م للهند إيذانا بزوال إحدى الدول الإسلامية الكبرى ، التي قامت في مستهل القرن السادس عشر ، واحتلالها لمصر سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م والعراق سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م وفلسطين ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م ولم يكن ذلك التوزيع وليد الصدفة ، فلقد كشف الاتفاق المنعقد بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م عن جانب من سياسة تقطيع أوصال العالم الإسلامي ، وصحب ذلك التقسيم إثارة القوميات المختلفة كالقومية الطورانية في تركيا .. والقومية العربية في البلاد العربية .. حتى اقتتل المسلمون تحت قيادة النصاري باسم القومية والتحرير [١] .

ثانيا : التغيير الاجتماعي ، لقد سعى الغرب الصليبي إلى إحداث كثير من التغيير الاجتماعي بعد أن سيطر على العالم الإسلامي سياسيا ،

---

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ، ص ٤٥ .

والهدف من ذلك هو إخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم إلى دين آخر ، كما وضح ذلك من كلام المبشرين ، ثم كانت عملية تنصير المسلمين صعبة إن لم تكن مستحيلة ، فاقتصرت العملية على إخراج المسلمين من دينهم ، ونجحت هذه الخطة ، والعمل بها جار الآن في كثير من بلاد المسلمين ، ثم كانت الخطة الثالثة .. التي لا تذهب إلى عملية الإخراج من الدين تماما ولكنها تكتفي بالإبعاد عن الدين من غير استعمال لفظ الإبعاد ، حتى لا يستثير حفيظة المسلمين أو تنبيههم إلى حقيقة الهدف ، وقد كانت الإشارة إلى هذا الهدف تحت اصطلاحات أكثر تهذيبا مثل التقريب أو التغيير الاجتماعي [١] .

والتغيير الاجتماعي : يعنى تغيير قيم الأمة ومثلها - وتغير ثقافتها وأخلاقها وعقيدتها ، وبعبارة أخرى واضحة ، إبعاد المسلمين عن دينهم .

والتغيير الاجتماعي ، قد سمي التغريب ، وقد يسمونه المدنية ، أو التطور ، أو التقدم ، وما يزال العمل يسير بجد ونشاط في إدخال المدنية الغربية إلى جميع بلاد المسلمين ويأخذ التغيير الاجتماعي طريقه بتقدم ونجاح حسب خطة مرسومة ، وضعت خطوطها بعد دراسة الموقف تقوم على التطور والتدرج [٢] .

ومما ينبغي أن نشير إليه هنا وهو أن التغريب ، أو التغيير الاجتماعي الذي كان يجري على أيدي المحتلين والمستعمرين ، صار يجري اليوم - في أكثر الأحوال - على أيدي العناصر الوطنية التي هي في أكثرالأحيان « عسكرية » [٣] هذا هو الهدف من التغيير الاجتماعي ، الذي يعني في

---

(١) انظر : كتاب الحضارة الغربية ، للدكتور محمد محمد حسين ، وكتاب : العالم العربي اليوم للكاتب الأمريكي مورو بيرجر .

(٢) انظر : مورو بيرجر في العالم العربي اليوم ، صفحات ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ .

(٣) انظر : كتاب العالم العربي اليوم ، للكاتب الأمريكي مورو بيرجر ، ص ٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .

الحقيقة إبعاد الأمة عن دينها في شتى نواحي الدين التي تشمل نواحي الدنيا ، ولقد كان لهذا التغيير أكبر الأثر في تمزيق وحدة المسلمين .

وشعارات الغرب ووسائله لإحداث التغيير الاجتماعي في بلاد المسلمين كانت كما يلي :

علمانية :

في التعليم ، وفي الإعلام ، وفي القانون ، وقوميات تمزق الأمة الواحدة ، وتمزق الدولة الواحدة ، وتحرير المرأة ، ليسقط المجتمع في حمأة الرذيلة ويقضي بنفسه على نفسه .

هذه هى أهم أسباب الانفصال والفرقة بين المسلمين ، وربما تكون هناك أسباب لم أذكرها خشية الإطالة ، وإذا عولجت هذه الأمور فإن الأمة تستطيع أن تتغلب على الأخرى في إطار النظر إلي المسلمين على أنهم أمة واحدة مستهدفة من أعداء الإسلام ، وأن عزتها في وحدتها ، وأن سيادتها وكرامتها في تمسكها بكتاب ربها ، وسنة نبيها ﷺ .

الأمة الإسلامية لها القدرة على إقامة وحدة إسلامية تؤلف بين أبنائها

على الرغم من الحرب الشديدة التي يمارسها أعداء الإسلام ضد المسلمين ووحدتهم فإن هذه الأمة لا تزال قادرة على جمع صفوفها ، وتوحيد كلمة أبنائها ؛ ولأنها ولله الحمد مازالت تملك النور الذي يضيء لها طريقها ، وبعد ذلك فلقد خص الله هذه الأمة ، فجعلها قلب العالم كله من كل ناحية :

من ناحية المكان : هى مركز الدائرة بالنسبة للعالم كله ، وهو ما يجعل لها مركزا استراتيجيا خطيرا لا يتوفر لأية أمة أخرى [١] .

ومن ناحية الخامة البشرية : فإن الدراسة المنصفة للطبيعة البشرية وخصائصها تجعل لهذه الأمة من الخصائص البشرية ما ليس لأمة أخري ، وبذلك تحقق الوسطية لهذه الأمة على اختلاف وجوهها ، وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [٢] .

إن الإسلام قد أقام الوحدة بين المسلمين على قواعد متينة وأسس راسخة تقاوم كل اعتداء وتتحدى كل العقبات مهما كانت قوية وعنيفة .

وهذا هو السر في بقاء الإسلام قويا بذاته وإن تخلي عنه كثير من أبنائه ، فقد مضى عليه أربعة عشر قرنا ، ولا يزال جديدا يحمل للناس كل ما يحتاجون إليه في معاشهم ومعادهم .

وإننا لنلاحظ أنه كلما ابتعد المسلمون عن دينهم سخر الله له من يحمل رايته ويدفع عنه المعتدين ، ويحبط كيد الكائدين ، تحقيقا لقول الله جل شأنه : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴾ [٣] .

ولكن أمام المسلمين مراحل طويلة حتى يستطيعوا أن يقيموا جامعة

---

(١) سجل الدكتور / حسين كمال الدين الأستاذ بكلية الهندسة ، بجامعة الملك سعود في بحث علمي هام أن الكعبة المشرفة هي المركز لدائرة العالم كله ، بحيث لو أردنا رسم دائرة للعالم لكان لزاما وضع السن على الكعبة المشرفة ليمكن رسم هذه الدائرة ، (البحث قدم لمؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد بالرياض في ذي القعدة ١٣٩٦ هـ) .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .

(٣) سورة محمد ، آية : ٣٨ .

إسلامية ضخمة تلم شمل المسلمين وتداوي جراحاتهم ، وتحرر مستعبديهم وترد العدوان عنهم .

يقول الشيخ الغزالى [١] : ولا أدري لماذا يكون الوجود الصيني واقعا عاديا فيصبح الثمانمائة مليون إنسان دولة موحدة ، ويكون الوجود الإسلامي خيالا مستبعدا ؟ ولو كان اتحاد ولايات أو تحالف دول متآخية ؟! .

إن شئون المسلمين لا تعالج – للأسف – بالعقل العادي ، فالتأثر بالاستعمار والتبعية الذليلة للغزو الثقافي هما أساس التجهم الغريب لكل كلام عن الإسلام وأمته الكبرى ، ووحدته المنشودة ، إن الغارة الاستعمارية التي شنتها أوربا على الإسلام وأتباعه منذ قرنين تقريبا استهدفت أمرين رهيبين :-

الأول : رفض أي تلاق على الإسلام بين الشعوب المنتسبة له ، وتمزيق الولاء الموروث نحو الجامعة الإسلامية ، وإحياء نزعات قومية حقيقية ومفتعلة ، تجعل أبناء الأسرة الواحدة متناكرين لا يلوى أحدهم على الآخر ، ولا يخدم آصرة الدين المشترك ، وبذلك أصبح المسلمون أوزاعا بين (٦٠ أو ٧٠ جنسية) في المجال الدولي .

الثاني : تمويت الإيمان في ضمائر الأفراد بحيث ينفصل السلوك عن العقيدة فينحرف هذا وتنكمش تلك ، ويصبح المجتمع مسرحا للمباذل المستقرة ، والأهواء المطاعة ، والتيارات الطائشة ، ثم يتحول مابقي من دين إلى أشكال فارغة وبدع حقيرة لا تغني عن أصحابها شيئا .

---

(١) انظر : قذائف الحق ، محمد الغزالي ، ص ٢٣٦ ، فما بعدها ، طبعة خامسة ، منشورات ذات السلاسل ، سنة ١٩٨٤ م .

وبكلا الأمرين نجح الاستعمار الحاقد في بلوغ أهدافه منا ، وكان وصوله إلى إقامة دولة إسرائيل سهلا ، بعد التمهيد الذي كان يتمثل في إبعاد الولاء للإسلام في المجال العام ، وتوهين الرباط بالعقيدة في مجال العبادة والخلق ، وأنواع المعاملات الأخرى . ا هـ .

يحدثنا التاريخ عن أن الإسلام قد أقام للمسلمين في أيامه الأولي معهم مجدا باذخا وعزا سائدا ، وجعل إلى أيديهم قيادة ركب الحياة ، والاستشفاء للإنسانية مما تزاحم عليها من علل ، وما تفشي فيها من آفات ، اغتالت معاني الإنسانية فيها ، فعدا بعضهم علي بعض ، كما تعدو جوارح الطير على بغاثها ، وإذا الإنسانية في ظل الإسلام تعود إلى رشدها ، وتسترد وجودها ، وتلبس من المعاني الكريمة ماهو جدير بالإنسان الذي أقامه الله تعالى خليفة في الأرض ، يعمرها ويكشف المخبوء من أسرارها ، لتكون مسخرة له ، فيما يمكن له من سلطانه ، ويحقق له معنى الخلافة المنوطة [1] .

ونجد اليوم العالم الأوربي قطع شوطا كبيرا في التقدم العلمي والتقني ، وذلك في ظل إدارة عصرية منضبطة وتنظيم دقيق لجمع المعلومات وتوثيقها فيما يعرف اليوم باسم ثورة المعلومات .

وفي غمرة هذا التقدم العلمي والتقني المذهل تخلف العالم الإسلامي تخلفا شديدا بعد أن حمل لواء المعرفة العلمية والفكرية والصناعية لعشرة قرون كاملة (من القرن السادس الميلادي إلى مشارف عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي) .

فقد أسقطت الخلافة الإسلامية في سنة ١٩٢٤ م بعد احتلال

---

(١) انظر : كتاب مسلمون وكفى – ص ٣٧ – عبد الكريم الخطيب ، دار الشروق ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

مساحات كبيرة من أرض المسلمين ، كما تم تمزيق هذا الجسد الواحد إلي أكثر من خمسين دولة متباينة المساحة وتعداد السكان ، بالإضافة إلى أقليات منتشرة في كل دولة من الدول غير الإسلامية تفوق أعدادها مئات الملايين في بعض هذه الدول .

كما فقد العالم الإسلامي دولة ألبانيا وغالبيتها الساحقة من المسلمين ، وفقد المسلمون أجزاء كثيرة عزيزة على نفوسهم مثل فلسطين ، وولايتي جامو وكشمير ، والجمهوريات الإسلامية التي كان يضمها الاتحاد السوفييتى ، والولايات الإسلامية في كل من الصين والهند والفلبين .

وقد أدى هذا التفتيت المتعمد إلى تشتيت المقومات المادية والروحية والطاقات البشرية للمسلمين ، في وقت أخذ العالم فيه فى الاتجاه إلى التوحد في تكتلات اقتصادية وسياسية وعسكرية كبري ، ولم تعد فيه إمكانية لوجود مستقل لأية تجمعات بشرية يقل تعدادها عن مائة إلى مائة وخمسين مليون نسمة ، وقد أدى تفتيت العالم الإسلامي إلي إفقاره فقرا شديدا على الرغم من ثرواته البشرية والطبيعية الهائلة ، فالغالبية العظمى من سكان الدول الإسلامية اليوم باستثناء الدول النفطية ، تعيش تحت الحد الأدنى للكفاف اللازم لصون كرامة الإنسان [1] .

إن الوحدة الإسلامية بين شعوب العالم الإسلامي يمكنها أن تتحقق لأنها جربت فى هذه الأمة من قبل ، فأعطت نتائج باهرة ، وحققت نجاحا منقطع النظير .

وسعدت تحت سلطانها بالطمأنينة والعدل والاستقرار ، وأطعمها الله بهذه الوحدة من جوع وأمنها من خوف ، وأعزها بعد ذل ، وعلمها

---

(١) قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي ، د. زغلول راغب النجار ، طبعة أولى ، كتاب الأمة ، نشر رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر .

بعد جهل ، وهداها بعد ضلال واجتمعت عليه بعد فرقة ، وتآخت في ظله بعد عداوة وشحناء ، ومن أنكر هذا فقد كذب التاريخ ونفى الواقع ، وجحد نعمة الله ، وتنكر لآيات الله ، في كتابه على المؤمنين فقال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [١] وقال سبحانه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [٢] .

تلك هى طبيعة هذه الأمة ، وذلك هو تأثير الإسلام في أبنائها : العرب وغيرهم من « العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشدا لها » [٣] .

يقول الأستاذ (كليرنج) في كتابه عن (الشرق الأدني : مجتمعه وثقافته) :

« إن الدين مرآة تنطبع عليها القيم الروحية والثقافية للشعوب بأجلى صورها وهو للجماعة كالحدقة من العين ، ترتسم عليها صور الحقائق التي توليها الاهتمام » .

أما الأستاذ (أليسون ALISON) فيؤكد استنادا إلي وقائع التاريخ

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٦٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٠٣ .

(٣) من كتاب « حضارة العرب » لغوستاف لوبون – تعريب عادل زعيتر ص ٤١٧ .

ذاته بأن الاستقرار لدي الآسيويين – علي الأخص – في حاجة دائما إلى الاستناد إلي الدين [١] .

وهذا موافق لما ذهب إليه « ابن خلدون » في شأن العرب والترك وغيرهم من شعوب الشرق من حيث قوة تأثير الدين فيهم ، حيث يصبح الوازع لهم من أنفسهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة الوازع عن التحاسد والتنافس [٢] .

فمن أراد أن يصنع بهذه الأمة العجائب ، ويقتحم بها المخاطر ، ويخوض بها لجج المعارك ، ويعيد بها أيام خالد وصلاح الدين ، فليخاطبها باسم الله ، وليقدها بزمام الإيمان ، وليجمعها تحت راية القرآن وكلمة التوحيد ، وقيادة معلمها الأول محمد – عليه الصلاة والسلام – وليربطها بأيام الإسلام ، وتراث الإسلام ، وأبطال الإسلام .

بهذا تكشف الأمة عن خصائصها وأصالة معدنها ، ويتجلى ما تنطوي عليه أعماقها من إيمان غطاه طلاء الحضارة الزائف ، وران عليها الصدأ بفعل المذاهب الدخيلة والأنظمة العميلة ، التي أضلتها عن طريقها وتركتها في حيرة وفراغ [٣] .

إن مما يبعث على الأمل في وحدة هذه الأمة هو أنها أمة مؤمنة بفطرتها وبتجاربها وبتاريخها ؛ والإيمان هو أول ملامحها ، وأبرز المعالم في حضارتها ، وهو صانع أمجادها وصاحب الفضل الأول في تاريخها ، وقائدها في معاركها الكبرى إلى النصر .

---

(١) انظر : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، ص ١٣٥ – د. يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧ هـ أبريل ١٩٧٧ م .

(٢) انظر : مقدمة ابن خلدون – الكتاب الأول – الفصل : ٢١ – ٢٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣٦ .

فبالإسلام فتحت البلاد . وسادت العباد ، وحطمت ملك كسري ، وقصت أجنحة قيصر ، وبه شرقت وغربت ، فأخرجت الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الخالق ، ومن ضيق العيش إلى سعة الحياة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

ومفتاح شخصية هذه الأمة وطريق وحدتها هو الإيمان ، به تصنع المعجزات وتتخطى المستحيلات ، وتستهين بالعقبات ، والله الهادي إلى أقوم طريق .

مقومات الوحدة الإسلامية :

يجتاز العالم الإسلامي اليوم مرحلة من أدقّ مراحله ، منذ أن بعث الله محمدا ﷺ .

ولقد مرت بالعالم الإسلامي أزمات كثيرة من قبل ، بل نكبات كثيرة ، كان المسلمون يفقدون فيها تمكنهم في الأرض ، أو يفقدون أمنهم وطمأنينتهم ، أو يفقدون ديارهم وأموالهم ، ولكنهم مع ذلك لم يخوضوا تجربة أقسي ولا أمر من تجربتهم المعاصرة في تاريخهم كله .

لقد كانت أزمة الردة – مثلا – أزمة حادة ولا شك ، أوشكت أن تهدد الدولة الناشئة وتعوق حركتها وهي في مهدها ، ولكن إيمان أبي بكر الراسخ ، وثقته العميقة بوعد الله بالتمكين لهذا الدين في الأرض ، وحساسيته المرهفة أبت عليه أن يترك الخارجين على أمر الله دون أن يسارع في توقيع العقوبة التي أمر الله بإنزالها بهم ، كل ذلك قد فعل فعله في نفوس الصحابة – رضوان الله عليهم – فوقفوا صفا واحدا وراء أبي بكر – رضي الله عنه – . ونصر الله دينه ، كما وعد ، ولقد كانت فتنة مقتل عثمان – رضي الله عنه – وما تلاها من الحروب بين علي ومعاوية أزمة

حادة ابتلي بها المسلمون ، والدولة ماتزال في نشأتها ، وأعداء الأرض قائمون من حولها .

وكذلك كانت أزمة الحروب الصليبية وحروب التتار أزمة حادة في حياة المسلمين ، وبدا – لفترة من الوقت – أنها يمكن أن تطيح بالكيان الإسلامي كله وتجتث المسلمين من الأرض ، ولكن النتيجة الواقعية كانت غير ذلك ، وجاء النصر من عند الله في النهاية ، وكانت الهزيمة في البدء والنصر في النهاية كلاهما مطابقا للسنة الربانية التي لا يحيد عنها شيء في الوجود كله ، فقد كان واقع المسلمين سيئا مليئا بالمعاصى والبدع والانحرافات والشتات والفرقة ، والانشغال بذلك كله عن نصرة دين الله والتمكين له في الأرض ، ولذلك اجتاحت جيوش الأعداء أرض المسلمين وأزالت سلطانهم إلى حين ، ولكن جذوة العقيدة كانت ما تزال حية في نفوس المسلمين ، وإن غشيتها غاشية من التواكل والسلبية أو الانشغال بشهوات الأرض ، فما إن جاء القادة الذين يردون الناس إلى الجادة بدعوتهم للرجوع إلى حقيقة الإسلام ، حتى صحت الجذوة واشتعلت .. فجاء على أثرها النصر [1] .

ولكن الأزمة التي يعانيها المسلمون اليوم هي أقسي من سابقاتها وأمرُّ ، وإنني على ثقة كاملة في أنها هي الأخرى ستمر ، ويمكن الله لدينه مرة أخرى في الأرض .

وأذكر الآن أهم مقومات الوحدة الإسلامية – على سبيل المثال لا الحصر – والتي كان لها الدور الأكبر في توجيه المسلمين وإصلاحهم وإرشادهم ، ونهضتهم وازدهارهم ، والتي خلقت عالما مشرقا جديدا لا يشبه العالم الشاحب القديم في شيء .

---

(١) واقعنا المعاصر : محمد قطب ، طبعة أولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر .

وتتمثل هذه المقومات في الآتي :-

أولا : العقيدة الصحيحة :

تعتبر عقيدة التوحيد الصافية الغالبة من أهم مقومات الوحدة بين المسلمين ، فهي عقيدة ثائرة ، معجزة ، متدفقة بالقوة والحياة ، مقلبة للأوضاع ، مدمرة للآلهة الباطلة ، لم تنل ولن تنال الإنسانية مثلها إلى يوم القيامة .

ولقد كان الإنسان قبل الإسلام يسجد لأشياء تافهة لا تضر ولا تنفع ، ولا تعطي ولا تمنع ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (١) .

كان العرب قبائل متناثرة متنافرة لا تجتمع علي شيء علي الرغم من وجود كل مقومات التجمع : من وحدة الأرض ، ووحدة اللغة ، ووحدة الثقافة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة التصورات ، ووحدة التطلعات .

وقد كان يمكن – على أقل تقدير – أن يجتمعوا على قضية من القضايا التي يتجمع لها الناس في جاهلياتها ، قضية قومية مثلا لطرد الاحتلال الفارسي ، والاحتلال الروماني من أطراف الجزيرة العربية ، أو قضية اجتماعية لتقريب الفوارق بين الغني الفاحش في أيدى فئة قليلة من الناس والفقر المدقع الذي يتسربل به أغلبية الناس . أو غير هذه مما يمكن أن يجتمع له الناس في أطوار معينة من أطوار الحضارات الجاهلية ، ولكن العصبية القبلية والثارات الدائمة وغارات السلب والنهب ، واشتغال

---

(١) سورة الحج ، آية : ٧٣ .

كل قبيلة بشئونها الخاصة جعل التجمع حتي على هذه القضايا الأرضية البحتة أمرا لا يخطر في بال قبيلة من القبائل حتى في فرصة التجمع السنوي في موسم الحج .

من هنالك انتشلهم الإسلام ، لا ليكونوا تجمعا قوميا ، ولا ليكونوا تجمعا وطنيا تحت قيادة زعيم منهم ، ليكون منهم دولة موحدة ذات كيان وحدود ، ولكن لينشىء منهم أمة العقيدة التي استحقت من الله وصفها بهذا الوصف العظيم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ (١) .

والذى يلحظ النقلة الهائلة التي انتقلها العرب من شتاتهم المتناثر ليكونوا خير أمة أخرجت للناس ، لابد أن يأخذه العجب من هذا التحول الهائل في فترة من عمر الزمن كأنها لحظات .

إن العقيدة الإسلامية هي أعلي ما يمكن أن تقوم عليه وحدة المسلمين ، فهي الوشيجة الحقيقية التي تقوم عليها الأمة الحقيقية ... الأمة الخيرة .. ثم تنضوي تحتها كل العلاقات الأخرى ، علاقات الأرض واللغة والجنس وقرابة الدم ، فتكون هذه روافد إضافية إذا وجدت ولكنها لا تكون هي التي تكوّن الأمة – ولو اجتمعت كلها – في غياب العقيدة ، بينما تكون العقيدة وحدها – ولو غابت الروابط الأخرى كلها – هي الرباط الذي تتكون حوله أمة تتآخى بأخوة العقيدة وتترابط برباط الإيمان ، فتكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (٢) والمؤمنون بهذه العقيدة كالجسد الواحد ، إذا اشتكي

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

(٢) سورة الصف ، آية : ٤ .

منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، يقول الرسول الكريم ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمي والسهر** » (١) .

وروى النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « **إنما مثل المؤمنين فى تواصلهم وتراحمهم وماجعل الله فيهم من البركة ، كمثل الجسد إذا وجع تداعى سائر جسده بالسهر والحمى** » (٢) .

تلك هي الوشيجة التي نبه القرآن في أكثر من موضع علي أنها هي المعتبرة ، وهي المُعَوَّلُ عليها ، والتي تفصم الروابط الأخري وتبقي هي لا تنفصم . فقد جاء في قصة نوح – عليه وعلي رسولنا أفضل الصلاة والسلام – قوله – جل شأنه – : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ * قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (٣) .

ولقد دعا نوح ابنه – وكان في معزل – ليركب في السفينة الناجية ، فأبي !! فأدركه الطوفان » .

فلما قضي الأمر واستوت السفينة على الأرض وقد نجا من نجا ، وهلك

---

(١) متفق عليه ، انظر : صحيح البخاري ، ج ١٢ ص ٤٦ ، ببعض الاختلاف في اللفظ . وصحيح مسلم ج ١٦ ، ص ١٤٠ بهذا اللفظ ، وأخرجه أحمد في مسنده ، ج ٤ ص ٢٧٠ وراجع رقم ٤٠ ، ٤١ ، من أمثال الرامهرمزى .

(٢) رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٦٢/٢ ، ٧٤) وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الأمثال في الحديث النبوي ، ص ٢٣٧ ، برقم ٣٥٠ .

(٣) سورة هود ، الآيات : ٤٥ – ٤٧ .

من هلك ، ملأت الحسرة قلب نوح علي ولده الهالك ، وراح يسأل ربه كيف غرق وهو من أهله ، وقد وعده الله أن ينجو أهله ، ووعد الله حق لاريب فيه ؟!

هنا ينبه الله – سبحانه وتعالى – أن الوشيجة الحقيقية ليست وشيجة الدم .. إنما هي وشيجة العقيدة .. ﴿ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ وقد انفصمت وشيجة العقيدة حيث أبى الابن أن يؤمن ، فانفصمت لها كل وشيجة أخرى ، ولم يعد ابن نوح من أهله ، مع أنه ابنه كما يؤكد القرآن باللفظ الصريح ﴿ ونَادَى نُوحٌ ٱبْنَهُ ﴾ .

إذًا العبرة بأهلية الدين لا بأهلية القرابة ، (والغير) في قوله : ﴿ إنه عمل غير صالح ﴾ عائد على ابن نوح – عليه السلام – أي : أنه ذو عمل غير صالح ، أو أنه لما انغمس في المعاصي كان كأنه عمل غير صالح ، من باب وصف الأشخاص بالمصادر مبالغة كما يقال : زيد عدل [1] .

وفى قصة إبراهيم – عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام – جاء قوله تعالي : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [2]

وجاء خطاب الله تعالى للمؤمنين كافة إلى يوم القيامة ناهيا لهم من أن يركنوا إلى قرابة الدم ويتركوا محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله ، وينذر الذين يخلون بالموازين الربانية بالعذاب الأليم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٣١٠ ، مكتبة الجمهورية العربية ، وانظر : تفسير المنار ، للشيخ محمد رشيد رضا ج ١٢ ، ص ٧٠ ، ٧١ طبعة الهيئة العامة للكتاب .

(٢) سورة الممتحنة ، آية : ٤ .

ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (١) .

ولكن ما أثر هذه العقيدة في وحدة المسلمين ؟؟

هذا السؤال لا بد أن يطرح هنا لأننا بصدد الحديث عن مقومات الوحدة الإسلامية ، ولأنني ذكرت أن العقيدة هي الأساس الأول في بناء وحدة المسلمين الشامخة .

ولبيان ذلك أقول : إن أثر العقيدة في وحدة المسلمين يتلخص في الآتي :-

(١) وحدة الفكر :

إن وحدة الفكر من أهم وسائل توحيد المسلمين ، لأن الأمة التي تفكر بطريقة واحدة ، وتوجه تفكيرها عقيدة واحدة ، لابد أن تكون غايتها واحدة ، والفكر هو أهم جوانب الإنسان ، فالإنسان ليس إنسانا بجسمه ، ولا هو إنسان بهيئته وشكله ولكنه في الحقيقة إنسان بعقله وفكره .

إن وحدة الفكر في الأمة تعطي انطباعا واضحا عن وحدة الهدف الذي تسعى لتحقيقه ، وهذه الأمة هي التي دعا إليها الإسلام في قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة المؤمنون ، آية : ٥٢ .

وليس المراد بوحدة الفكر هنا المساواة بين أفراد الأمة في درجة الإدراك والوعي ، وليس المراد بها أن يكون المستوى الفكري لأفراد الأمة واحداً لأن ذلك يستحيل تحقيقه في مجموعة صغيرة من الناس ، فكيف يتحقق في أمة كاملة .

وإنما المراد بوحدة الفكر في الأمة هو وحدة المبادىء الأساسية للأمة في صورة واضحة لكل فرد من أفراد الأمة .

(٢) المحبة :

مما هو معلوم أن العقيدة تؤلف بين القلوب ، وتشد المؤمنين بعضهم إلى بعض فتجعلهم يدا واحدة ، وتعلمهم كيف يضحي الفرد في سبيل الجماعة ، وكيف يقدم حاجة أخيه على حاجته .

إن هذا النوع من المحبة هو جزء لا يتجزأ من حقيقة الإيمان ، وهو الذي لا يتم إيمان المؤمن إلا به ، بل هو الذي قال فيه الرسول ﷺ : **« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »** (١) .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ : **« والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »** (٢) .

إنَّ المحبة القائمة على أساس من العقيدة هي التي تبقى ، ولها

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ، وهو حديث متفق عليه رواه البخاري في صحيحه ج ١ ص ٥٣ ، ٥٤ ، ومسلم في صحيحه برقم ٤٥ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم ٥٤ ، وأورده النووي في رياض الصالحين ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

أثرها الكبير في وحدة المسلمين ، ومن أجل هذا كان ثوابها عظيما وأجرها كبيرا ، كما ورد ذلك في كثير من الأحاديث الصحيحة ، منها ما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلاَّ ظلى** » [١] وعن معاذ – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر** [٢] **من نور يغبطهم النبيون والشهداء** » [٣] وعن أبي إدريس الخولاني قال : جئت إلي معاذ ابن جبل من قبل وجهه ، فسلمت عليه ، ثم قلت : والله إني لأحبك لله ، فقال : آلله ؟ فقلت : آلله ، فقال : آلله ؟ فقلت : الله ، فأخذني بحبوة ردائي ، فجبذني إليه ، فقال : أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **قال الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتزاورين فيّ ، والمتباذلين فيّ** » [٤] وقال : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » متفق عليه ، البخارى (١/٥٣) ومسلم برقم (٤٥) .

(٣) التعـــاون :

قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [٥] وقال تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَواصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَواصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴾ [٦] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٥٦٦ .
(٢) أي : يجلسون عليها ، والغبطة : تمني مثل ما للغير من الخير .
(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح برقم ٢٣٩١ .
(٤) رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح ج ٢ ص ٩٥٣ وصححه ابن حبان برقم ٢٥١٠ ، والحاكم في مستدركه ووافقه الذهبي ، وقال ابن عبد البر : إسناده صحيح .
(٥) سورة المائدة ، الآية : ٢ .
(٦) سورة العصر ، الآيات : ١ : ٣ .

إن العقيدة الإسلامية هى المحرك الرئيسي للتعاون بين المسلمين لأنهم يشعرون بقيمة التعاون وما يحققه لهم من الفوائد الكبيرة الملموسة لكل من يتعاون مع إخوانه .

والتعاون بين المسلمين ليس مقصورا عليهم فحسب ، وإنما هو يشمل غير المسلمين ممن يعايشونهم ويتعاملون معهم ، لهذا لم يَنْهَ الله المسلمين عن بر غير المسلمين والعدل معهم ، قال – جل شأنه –: ﴿ لَّا يَنْهَـٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) .

ثانيا : العبادة :

ومن مقومات الوحدة بين المسلمين جميع العبادات : من صلاة وصيام وحج وزكاة ، وأوضح مثال عملي على توحيد المسلمين يتجلى في الحج إلى بيت الله الحرام .

فالرجل الذي لم ير في حياته هنديا ، ولا صينيا ولم يعرف روسيا ولا تركيا ، ولم يعامل صوماليا ، ولا سنغاليا ، كيف نطالبه بأن يفكر في كل هؤلاء وأمثالهم وأن يهتم بشئونهم وشئون أقوامهم ؟؟

ألا فقد أبطل الإسلام هذه الحجة ، وأغلق الباب أمام هذا الاعتذار ، إذ لم يكتف بتقرير هذه الحقائق النظرية ، ولكنه وضع إلى جانبها نظاما دقيقا إلزاميا ، وهيأ لتحقيقها فرصة عملية سنوية يجمع بها العالم الإسلامي مركزًا في بقعة واحدة من الأرض .

---

(١) سورة الممتحنة ، آية : ٨ ، وانظر : قواعد البناء في المجتمع الإسلامي ، د. محمد السيد الوكيل ، الوفاء للطباعة والنشر ، ط ١ : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ص ٢٦ فما بعدها .

أتدري ما هذه البقعة ؟ إنها المحور الذي تلتف حوله أقطار الإسلام على بعد متناسب من كل جانب ، إنها القطب المغناطيسي الروحي الذي تنجذب إليه أفئدة المؤمنين من كل فج عميق ، إنها الكعبة ، البيت الحرام ، ومكة البلد الحرام ، ومنى وعرفة ، عتبة باب الحرم ، ذلكم هو مهد الإسلام في طفولته ، ومبعث نشاطه في فُتُوَّتِهِ ، جعل الله الورود إلى هذا المنهل الأول فريضة حتما على كل مسلم يستطيع إليه سبيلا ولو مرة في حياته . وتتجمع الوفود الإسلامية هنالك في كل عام في وقت واحد في صعيد واحد بل في زي واحد ، وينشدون جميعا نشيدا روحيا واحدا ، تردده معهم الجبال ، والأكمات ، فتتجاوب أصداؤه في قلوبهم ، وتنصهر نفوسهم حتى تعود سبيكة واحدة في بوتقة الشعور المشترك ، والوجدان الموحد ، تلك هي تجربة الوحدة الروحية ، تكملها وتتوجها تجربة الوحدة الاجتماعية ، ذلك أن الإسلام لم يجعل الحج عبادة وحسب ، ولكنه جعله في الوقت نفسه قياما للناس وموسما لتبادل مصالحهم ، في مختلف وجوهها وأنواعها ، بل إنه لأمر ما جعل هذه قبل تلك في معرض بيانه للغاية المنشودة من رحلة الحج ، ألا تسمع إلى قول الباري – جل شأنه – : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ [1] ما أعجب هذه الكلمة ، ما أوجزها ، وما أجمعها ، إنها لتتناول شئون الاقتصاد والسياسة ، والحرب والقانون ، والعرق واللغة والآداب والعلوم ، وسائر مقومات الحياة الجماعية التي تتأثر أعظم التأثر بهذا الاتصال والتلاقي ، كما تتأثر السوائل بتلاقيها في الأواني المستطرقة فتأخذ في التوازن والتعادل طلبا للوصول إلى مستوى واحد [2] . إنه – تطبيقا للوحدة الإسلامية وتبادل المنافع بين المسلمين – كان من واجبات الحج بعد أداء مراسمه أن يخلع الناس ثياب

---

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٨ .

(٢) نخبة الأزهار وروضة الأفكار ، د. محمد عبد الله دراز ، ص ٢٠٤ ، ط ١١ ، قطر .

عبادتهم المتقشفة وأن يمكثوا هنالك فترة يعودون فيها إلى مجرى حياتهم العادية متكشفا كل منهم عن زيه ومهنته وجنسه ولهجته ؛ ليتعاملوا ويتشاوروا ويتعاونوا وهم في أوضاعهم الطبيعية ، حتى تبرز بينهم صورة هذه الرحلة الإسلامية المختلفة المظهر المؤتلفة الجوهر .

هل فقه الناس إذن مغزي هذه الشريعة ؟؟ وهل أدركوا أن تكرار هذه التجربة كل عام في شكل مصغر ، إنما هو دعوة إلى تجربة أمثالها كُلَّ آنٍ في نطاق أوسع ، وعلي مقياس حقيقي مكبر ؟؟

ولكن هل يظل المسلمون في مواسم حجهم قانعين بهذا الموقف السلبي الذي لا يعمل فيه إلا العقل الباطن البطيء الفاتر ؟؟ أليس يجب أن يتقدموا خطوة إيجابية توضع فيها الخطط المفصلة لهذه الوحدة الإسلامية الشاملة ؟ بلي !! لقد آن للأمم الإسلامية أن تخرج من سجن هذه الفرديات المنعزلة ، والقوميات المنفصلة إلي محيط الجماعة الكبرى التي يرون منها نموذجًا مصغرا في هذه الرحلة المقدسة ، فقهنا الله في أسرار شريعته وأدبنا بآدابها .. آمين .

ثالثا : جانب الأخلاق :

ومن مقومات الوحدة بين المسلمين الأخلاق ، وهذا الجانب يغفل عنه الكثير من المصلحين ومن الدعاة .. مع أنه في ميزان الإسلام يقف إلى جانب العقيدة .. ليقيم الأساس وكيف لا .. والرسول ﷺ يجعلها غاية لابتعاثه : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » [1] وقد ظل الرسول ﷺ يربي المسلمين عليها مع العقيدة أكثر من نصف حياته « الرسالية » وبالأخلاق انتشرت دعوة الإسلام في أكثر من نصف الأرض

---

(١) رواه مالك في الموطأ : (باب حسن الخلق) ج ٢ ص ٩٠٤ .

التي فتحها الله على المسلمين ؛ لما رأى الناس من أخلاق تجار المسلمين في معاملاتهم .

وقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن ، فلقد ترك القرآن الكريم أثراً عظيما من التربية في قلب الرسول ﷺ أولا ، ثم في قلوب صحابته ثانيا ، ولقد وصفته السيدة عائشة – رضي الله عنها – بأكمل وصف وأدقه حيث قالت : « **كان خلقه القرآن** »[1] أي : كان متخلقا بتعاليم القرآن السامية في جميع شئونه ، في حله وترحاله ، في سلمه وحربه ، أي : كان نموذجا حيا للأخلاق يمشي على الأرض وتراه الأعين ، فمن ثم لا تعجب من تلك الأخلاق السامية والشمائل العالية التي سادت العصر النبوي خاصة ؛ لأن الجميع آنذاك كان يفهم القرآن ويتدبره في شخص الرسول ﷺ وكان بهذا الخلق الشريف أكرم خلق الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3] .

وأمرنا الله تعالى أن نقتدي بهذا الرسول في خلقه العظيم : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[4] .

ولئن اختلفت مذاهب العالم في الأخلاق واختلفت فيها اهتماماتهم ، فإن السمة الواضحة فى هذه المذاهب وتلك الاهتمامات أنهم لا يضعونها في المنزلة التي يضعها الإسلام أساسا مع العقيدة للبناء كله .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٥١٣ .
(٢) سورة القلم ، الآية : ٤ .
(٣) سورة الجمعة ، الآية : ٢ .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

ثم هي عندهم ليست نابعة عن عقيدة ، ولا متصلة بعبادة ، بينما هي في الإسلام كذلك [١] .

فأما نبعها من العقيدة فالأمثلة على ذلك كثيرة وأذكر بعضها :

عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أبا ذر إذا طبخت مرقة [٢] فأكثر ماءها ، وتعاهد جيرانك** » [٣]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « **والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن !! قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذي لا يأمن جاره بوائقه** » متفق عليه [٤] وقال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت** » متفق عليه [٥] .

وقوله : « أو ليسكت » قال الشافعي – رضي الله عنه – : « لكن بعد أن يتفكر فيما يريد أن يتكلم به ، فإذا ظهر له أنه خير محقق لا يترتب عليه مفسدة ، ولا يجر إلي كلام محرم أو مكروه أتي به » [٦] .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ

---

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٢١٩ ، د. علي محمد جريشة ، ومحمد شريف ، دار الاعتصام ، ط ١ .

(٢) أي : ذا مرق من لحم ودجاج ونحوهما .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ، ص ٢٠٢ ، رقم حديث الباب (١٤٢) و (١٤٣) .

(٤) انظر صحيح البخاري ج ١٠ ص ٣٧٠ ، ٣٧١ ، وصحيح مسلم برقم (٤٦) .

(٥) البخاري ج ١٠ ص ٣٧٣ ، ومسلم برقم (٤٧) ، وأخرجه أبو داود برقم (٥١٥٤) ، والترمذي برقم (٢٥٠٠) .

(٦) انظر هامش رياض الصالحين للنووي ص ١٧٣ .

آللهِ وَلَا يَنقُضُونَ آلْمِيثَـٰقَ * وَآلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ آللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ آلْحِسَابِ * وَآلَّذِينَ صَبَرُواْ آبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [١] وأما اتصالها بالعبادة فإن إتيانها نفسه والاستمساك بها عبادة .

يقول الرسول الكريم ﷺ : « **إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم** » [٢] وعن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **إن من أحبكم إليَّ ، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** » قالوا : يارسول الله قد علمنا : « الثرثارون والمتشدقون » فما المتفيهقون ؟ قال : « **المتكبرون** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن [٣] وقال ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح [٤] وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : « **تقوى الله وحسن الخلق** » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : « **الفم الفرج** » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح [٥] وقال ﷺ :

---

(١) سورة الرعد : ٢٠ – ٢٢ .

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم ٤٧٩٨ وصححه ابن حبان برقم ١٩٢٧ والحاكم ٦/١ ، والخرائطي ص ٩ .

(٣) الترمذي برقم (٢٠١٩) وأخرجه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، وصححه ابن حبان برقم (١٩١٧) وعن أبي هريرة عند أحمد ج ٢ ص ٣٦٩ .

(٤) الترمذي برقم (١١٦٢) وأخرجه أحمد في مسنده ج ٢ ص ٤٥٠ ، ٤٧٢ وسنده حسن وصححه ابن حبان برقم (١٣١١) والحاكم في مستدركه ج ١ ص ٣ وله شاهد من حديث عائشة عند أحمد ج ٦ ص ٤٧ والترمذي برقم (٢٦١٥) والحاكم ٥٣/١ بلفظ : « إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » .

(٥) الترمذي برقم (٢٠٠٥) وأخرجه أحمد ج ٢ ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٤٤٢ وابن ماجه برقم (٤٢٤٦) وإسناده حسن ، وصححه ابن حبان برقم (١٩٢٣) .

« **ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق** » [١] الحديث .

ثم إنها بعد ذلك تزكو بالعبادة وتربو ..

فالصلاة من بين غايتها تنمية النظام ، والطاعة والطهر والنظافة والعفة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [٢] وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا** » [٣] متفق عليه . وأداؤها في جماعة ينمي روح التعاون والتراحم والود والألفة والوحدة بين المسلمين .

وكذلك الصيام يزكي خلق الصبر ، والاحتمال ، والإحساس بالفقير والعطف عليه ، وينمي في الوقت نفسه مراقبة الله في السر كمراقبته في العلانية ، مما يولد التقوى ، قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٤] .

والزكاة تطهير للنفس من شحها ، وتطهير للمجتمع من الأحقاد ، وتزكية لأخوة الإسلام والمحبة في الله بين الغني والفقير ، قال تعالى :

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٠٠٣) و (٢٠٠٤) وفي سنده يعلى بن مملك لم يوثقه غير ابن حبان ، ولكن أخرج الشطر منه أحمد ج ٦ ص ٤٤٢ و ٤٤٨ وأبو داود برقم (٤٧٩٩) من طريق آخر وسنده صحيح ، وصححه ابن حبان برقم (١٩٢١) وأحمد ٢٠٢/٥ وصححه ابن حبان برقم (١٩٧٤) فالحديث صحيح .

(٢) سورة العنكبوت ،الآية : ٤٥ .

(٣) انظر صحيح البخاري ج ٢ ص ٩ وصحيح مسلم برقم (٦٦٧) .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٨٣ .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (١) .

أما الحج فقد تكلمت عنه فيما مضى وبينت أن فيه تطهرا من الرفث والفسوق والجدال ، وفيه تنمية لروابط الأخوة بين المسلمين ، وتزكية للوحدة على الله الواحد والقبلة الواحدة والغاية الواحدة (٢) .

رابعا : الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ :

ويعتبر التمسك بكتاب الله تعالى وسنة النبي – عليه الصلاة والسلام – من أهم مقومات الوحدة بين المسلمين ، والقرآن والسنة يشملان كل المقومات التي ذكرتها والتي لم أذكرها ؛ لأنه لا سبيل لخلاص المسلمين مما هم فيه من تمزق وتشتت إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة ، يقول النبي الكريم ﷺ : « **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمكسم بهما كتاب الله وسنة نبيه** » ﷺ ... الحديث (٣) .

* * *

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣ .

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٢٢١ .

(٣) رواه مالك في الموطأ : « باب النهي عن القول بالقدر » ج ٢ ص ٢٠٨ .

الخطوات العملية لتحقيق الوحدة الإسلامية

إن الوحدة الإسلامية هى الطريق الأمثل لعلاج كثير من مشكلاتنا المعاصرة ، وسوف تحقق هذه الوحدة المنشودة حينما يكون الإسلام هو الموجه والقائد للمجتمعات الإسلامية ، في كل الميادين ، وكل المجالات مادية ومعنوية ، ويلزم ذلك أن تكون عقيدة المجتمعات إسلامية وأن تكون مشاعر ونزعات الشعوب وأخلاقها إسلامية ، وتربيتها وتقاليدها إسلامية ، وهذا موضوع يحتاج إلى بحث منفرد ، وحسبنا هنا أن نشير إلى أهم معالم هذه الوحدة في ضوء تعاليم الإسلام ، كما ذكرها الدكتور / يوسف القرضاوي [1] :

(١) إحياء المعاني الربانية : من الإيمان بالله وتوحيده ومعرفة أسمائه الحسني وصفاته العلا ، والإيمان برسالته ، والجزاء الأخروي ، باعتبارها أهداف الحياة العليا ، وغايات الوجود الإنساني ، والعمل على دعمها وتثبيتها وحمايتها ومحاربة نزعات الإلحاد والشك والشرك بكل صوره وألوانه .

(٢) تربية الأمة على معاني التقوى لله والإخلاص له ، والثقة به ، والتوكل عليه ، وغرس الإحساس الدائم برقابة الله على كل أعمال الإنسان ، واطلاعه على سره ونجواه .

(٣) تثبيت القيم الأخلاقية الأصيلة التي توارثتها الأمة جيلا عن جيل مهتدية بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ الذي بعثه الله ليتمم

---

(١) انظر : الحل الإسلامي فريضة وضرورة ، ص ٣٨ فما بعدها ، طبعة ثالثة ، ربيع ١٣٩٧ هـ ، سنة ١٩٧٧ م .

مكارم الأخلاق ، وإزالة ما تراكم عليها من رواسب عصور التخلف ، وما دخل عليها من تقليد الأمم الأخرى قديما وحديثا .

(٤) الاعتزاز برسالة الإسلام ، بوصفه عقيدة وشريعة وحضارة ، ونظام حياة ، أودع الله فيه الكمال والشمول والتوازن والوضوح والعمق ، وغرس هذا الاعتزاز في ضمائر الجميع صغارا وكبارا ، بحيث لا يزاحمه نظام أو مذهب آخر للحياة ولا يزاحمه كذلك وطن ، أو قومية ، أو نعرة من النعرات ، فدين المسلم أغلى ما يعتز به ويحرص عليه ، وفي سبيله يضحي بكل ما يغالي به الناس من وطن وأهل ونفس ونفيس ، ورحم الله القائل :

أَبِي الإسلامُ لا أب لي سواه إذا افتخروا بِقَيْسٍ أو تميمِ

(٥) المحافظة على شعائر الإسلام ، وبخاصة عباداته الكبري ، التي تمثل الأركان العملية كما بينها رسولنا الكريم ﷺ من الصلاة والزكاة والصيام وحج بيت الله الحرام ، وتربية جميع أفراد المسلمين على احترامها وتوقيرها ؛ فإن هذه العبادات والشعائر – مع أنها غاية في نفسها – تعد من أعظم الوسائل التربوية لتكوين الأنفس المؤمنة ، والأخلاق الفاضلة .

(٦) إحياء رسالة المسجد حتى يعود إلى سالف عهده : مركزَ هدايةٍ وإصلاح ، جامعا للعبادة ومدرسة للثقافة ، ومعهدا للتربية ، وندوةً للتعاون وبرلمانا للتشاور [١] .

(٧) مقاومة البدع والأباطيل التي ألصقت بالدين – على مر القرون – وليست منه ، سواء كانت في مجال العقائد أم العبادات ، أم

---

(١) انظر : العبادة في الإسلام ص ٢٢٢ – ٢٢٤ ، د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة بيروت – طبعة رابعة .

التقاليد [١] . والرجوع بالإسلام إلى وضوحه وبساطته وصفائه ، والذي كان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان من أهل القرون الأولى ، الذين هم أحسن القرون بشهادة الرسول ﷺ .

(٨) أن يكون التعليم لجميع الأطفال – ذكورا وإناثا ، في كل سن التعليم – إلزاميا ، وأن تزال كل المعوقات من طريقه ، وأن توضع خطة مدروسة لمحو الأمية المنتشرة في العالم الإسلامي ، وأن يشمل التعليم كافة المجالات النظرية والعملية الدينية والدنيوية ، الأدبية ، و« التكنولوجية » وتدريس الإسلام مادة أساسية في جميع المراحل ومختلف أنواع التعليم ، وأن توجه العناية في دراسته إلى المبادئ والأصول التي من شأنها العمل على وحدة المسلمين ، ويجب إعادة النظر في مناهج التعليم في كل المراحل ، وتوجيه عناية خاصة إلى العلوم الإنسانية : (التاريخ وعلوم النفس والتربية والاجتماع والاقتصاد ونحوها) لما تحتوي عليه من كثير من الأفكار المناوئة للإسلام .

(٩) يجب أن توضع للبلاد الإسلامية خطة لنظام ثقافي إسلامي موحد غير مزدوج الروح والمصدر ، بحيث ينشيء عقلية واحدة لكل أبناء الأمة ، هي العقلية الإسلامية [٢] .

(١٠) أن تكون شريعة الله – تعالى – في جميع بلدان المسلمين هي العليا ، ولا تكون كذلك إلا حين لا تكون معها شريعة أخرى ، ولا تكون فوقها شريعة أخرى ، وأن تمتد الشريعة إلى كل المجالات وتشمل جميع الأنشطة .

---

(١) انظر في ذلك : الاعتصام للشاطبي ، والحوادث والبدع والنهي عنها : « والمدخل لابن الحاج » و « الإبداع في مضار الابتداع » للشيخ علي محفوظ ، وليس من الإسلام للشيخ محمد الغزالي .

(٢) انظر : كتاب الفكر الإسلامي المعاصر : محمد المبارك ، فصل (المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي) ص ١٣١ وما بعدها .

ولقد حرص القرآن على التنويه بجعل شريعة الله هى العليا فى أكثر من موضع ، فقوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ﴾ (١) وقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (٢) . الآية الأولى تعني : لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ، أي : لا يكن لكم رأي ولا شرع ولا نظام فوق شرع الله ورسوله .. وهو ما بيناه بأن تكون شريعة الله هى العليا ، أما الثانية فهي تحرم رفع الصوت فوق صوت النبي .

وليس من المعقول أن يحرم رفع الصوت ماديا فوق صوت النبي ، ويجوز رفعه معنويا بجعل شرع أو رأي فوق شرع النبي ﷺ بل يمكن أن نقول : إن كل عمل مخالف لما جاء به هذا الرسول الكريم ﷺ – يعتبر مخالفاً لأمر الله تعالى الذي جعل طاعة رسوله من طاعته ، كما قال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (٤) .

ومن هنا كان لابد لتحقيق الوحدة الإسلامية أن تكون الشريعة الإسلامية هى العليا لا شريعة معها ، ولا شريعة فوقها .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٤٠ .

(٢) سورة الحجرات ، الآيتان : ١ ، ٢ .

(٣) سورة النساء ، آية : ٨٠ .

(٤) سورة النجم ، الآيتان : ٣ ، ٤ .

(١١) أن تربى هذه الأمة على أنها أمة واحدة تهدي إلى الحق ، وتعدل بين الناس جميعا على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وبقاعهم ، قال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [١] .

وهذه الأمة التي جعل الله لها الخيرية على سائر الأمم جعلها بحقها وشروطها ، وهي إن قامت فيها هذه الشروط كتب الله لها الخلود .

لقد بقيت الأمة الإسلامية رغم المحن والأزمات ، ورغم تقلبات الحكم والحاكم بقيت – بحمد الله – حافظة لكتاب الله محفوظة بعناية الله ، حتى لقد صح ما قاله أحد الأئمة من أن العصمة في الإسلام للأمة لا للإمام ، وصح أن تقول : إن الأمة الإسلامية كانت بعد الكتاب العزيز من أكبر آيات الله العزيز الحميد فلو أن أمة أخري تعرضت لما تعرضت له الأمة الإسلامية من كيد وبطش وعسف لما كان لها اليوم وجود [٢] .

والأمة الإسلامية وإن كانت اليوم تبدو مفككة ضعيفة ، فإنها تحمل عناصر الابتعاث .

وهى في ابتعاثها لا تحتاج إلي وقت طويل ، وقد أدرك ذلك بعض المستشرقين فقاله وحذر منه .

ومن سمات هذه الأمة التي تؤكد وحدتها في نهاية المطاف – إن شاء الله – ما يأتي :

فهي أولا : آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر :

ولا يمكن أن تأمر بمعروف ولا تأتيه ، أو أن تنهي عن منكر

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٨١ .

(٢) انظر : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٢٤٤ وسراج الملوك للعلامة أبي بكر محمد بن الوليد طبعة سنة ١٣١١ هـ وهامش مقدمة ابن خلدون ص ٦٦ .

وتأتيه ؛ ففاقد الشيء لا يعطيه ، فأمرها ونهيها يعني أنها تقيم هذا المعروف وتلفظ المنكر .

وهي ثانيا : تؤمن بالله :

وإيمانها بالله يعني أنها تقوم على التوحيد ، ولا تقارب بين توحيد وشرك .

وهي ثالثا : تقوم مع التوحيد على الوحدة :

﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [١] وهذه الجنسيات وهذه الحدود دخيلة عليها .. ليست من أمر الله في شيء ، والأمة الواحدة هي التي انتصرت من قبل .

ولقد رفض رسول الله ﷺ عصبية الجاهلية ، وقال : « دعوها فإنها منتنة » ورفض المناداة بالعصبية بين الأنصار والمهاجرين حين نادى أحدهم : يا للأنصار ، ونادى الآخر : يا للمهاجرين !! فغضب رسول الله ﷺ عليه غضبا شديدا وقال : « **أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟!!** » [٢] .

ونزل القرآن الكريم يؤكد قول الرسول ﷺ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ [٣] .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية : ٩٢ .

(٢) انظر : زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ١ ص ٤٣١ ، المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ٢٤٣ لابن عطية الأندلسي ، الطبعة الأولى رجب ١٤٠٢ هـ / مايو ١٩٨٢ م ، الدوحة ، قطر .

(٣) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٠٠ ، ١٠١ .

وهكذا كانت الفرقة والجنسيات والحدود .. جاهليةً أو كفراً .

وكانت الوحدة أخت الإيمان : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا ﴾ (١) .

وامتدح الرباط الذي وحد الأمة في كتابه ، فقال عن المهاجرين : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ (٢) .

وقال – تعالى – عن الأنصار : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٣) .

وهكذا قامت دولة الإسلام الأولى تضم كل من قال : لا إله إلا الله ، بغير تفرقة لوطن أو جنس ، وبغير اعتراف بحدود أو جنسية .

وإن شاء الله سوف تقوم هذه الدولة الواحدة لتجمع أمة الإسلام تحت راية القرآن الكريم وسنة محمد بن عبد الله ﷺ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين – وصلى الله على نبيه وآله وصحبه وسلم .

* * *

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) سورة الحشر ، آية : ٨ .

(٣) سورة الحشر ، آية : ٩ .

أهم المصادر والمراجع

١ – زاد المسير فى علم التفسير : للإمام ابن الجوزى ، ط المكتب الإسلامي ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٢ – المسند : للإمام أحمد ، ط المكتب الإسلامي ١٤٠٥ هـ .

٣ – سنن الترمذى ، ط الحلبى ١٣٩٨ هـ .

٤ – المستدرك على الصحيحين : الحاكم النيسابوى ، ط حيدر أباد . الدكن . الهند ١٣٤١ هـ .

٥ – صحيح الجامع الصغير : للألباني . المكتب الإسلامي . بيروت ١٤٠٢ هـ .

٦ – بحوث فى أصول التفسير : د/ محمد لطفى الصباغ . المكتب الإسلامي ١٤٠٨ هـ .

٧ – حياة محمد : محمد حسين هيكل ، ط مكتبة النهضة المصرية .

٨ – السيرة النبوية : السيد أبو الحسن الندوى ، ط دار إحياء التراث الإسلامي .

٩ – صحيح البخارى بشرحه فتح البارى ، ط السلفية .

١٠ – سنن أبى داود ، ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

١١ – تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، ط دار المعرفة ، بيروت .

١٢ – الكامل : لابن الأثير ، ط المطبعة الأزهرية ١٣٠١ هـ .

١٣ – السيرة النبوية : لابن هشام ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، ط الحلبى ١٣٤٨ هـ .

١٤ – الفصل : لابن حزم ، ط القاهرة ١٩٢٨ م

١٥ – فرق الشيعة : للنوبختى ١٣٣٥ هـ .

١٦ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمى ، ط ١٤٠٢ هـ دار الكتاب العربى / بيروت .

١٧ - المقدمة : لابن خلدون ، ط لجنة البيان العربى ، بيروت .
١٨ - تاريخ عمر : لابن الجوزى ، ط دار الفكر العربى ، بيروت .
١٩ - الدعوة إلى الإسلام : أرنولد ، ط القاهرة ١٩٤٧ م .
٢٠ - الأحكام السلطانية : للماوردى ، مطبعة الوطن بمصر ١٢٩٨ هـ .
٢١ - تاريخ الطبرى ، طبعة ١٩٠١ م .
٢٢ - المصباح المنير : للفيومى ، ط القاهرة .
٢٣ - فتوح البلدان : للبلاذرى ، شركة طبع الكتب العربية مصر ١٣١٩ هـ .
٢٤ - الخراج : لأبى يوسف ، ط المكتبة السلفية ، القاهرة ١٩٥٢ م .
٢٥ - أنساب الأشراف : للبلاذرى .
٢٦ - العقد الفريد : لابن عبد ربه ، ط الاستقامة ١٩٤٠ م .
٢٧ - الإمامة والسياسة : لابن قتيبة ، ط ١٣٢٢ هـ .
٢٨ - عائشة والسياسة : للأستاذ / سعيد الأفغانى ، ط القاهرة ١٣٢٢ هـ .
٢٩ - رسالة فى معاوية والأمويين ، ط القاهرة ١٣٦٥ هـ .
٣٠ - تاريخ اليعقوبى ، ط ١٩٨٣ م .
٣١ - معجم البلدان : لياقوت الحموى ، تحقيق أمين الخانجى ٨ أجزاء القاهرة ١٣٢٣ هـ .
٣٢ - مقاتل الطالبيين : لأبى الفرج الأصفهانى / النجف سنة ١٣٥٥ هـ .
٣٣ - النزاع بين أفراد البيت الأموى ودوره فى سقوط الخلافة الأموية ، تأليف : رياض عيسى ط ١٤٠٦ هـ .
٣٤ - خلافة بنى أمية : نبيه عاقل ، ط دار الفكر / بيروت .

٣٥ - التاريخ السياسي للدولة العربية / بيروت ١٩٦٦ م .
٣٦ - البيان والتبيين للجاحظ : تحقيق عبد السلام هارون ، ط ١٩٤٨ .
٣٧ - النظم الإسلامية : لحسن إبراهيم وعلى إبراهيم حسن ، ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ م .
٣٨ - المدخل فى تاريخ الحضارة العربية : ناجى معروف ، ط بغداد ١٣٧٩ هـ .
٣٩ - الفخرى فى الآداب السلطانية : لمحمد بن على بن محمد بن طباطبا ، المعروف بابن الطلقى ط شركة طبع الكتب العربية بمصر ١٣١٧ هـ .
٤٠ - ذيل مرآة الزمان ، تحقيق دائرة المعارف العثمانية / حيدر أباد ١٣٧٤ هـ .
٤١ - جامع التواريخ (خلفاء جنكيز) ج ٢ : رشيد الدين ، ط نيويورك ١٩٧١ م .
٤٢ - تاريخ المغول والعالم الإسلامي : سقوط الدولة العباسية ، الدكتور سعد بن محمد حذيفة الغامدى ، ط مؤسسة الرسالة .
٤٣ - البداية والنهاية : للإمام ابن كثير ، ط بيروت ١٩٦٧ م .
٤٤ - تراجم رجال القرنين السادس والسابع : أبو شامة ، وعبد الصمد بن إسماعيل / القاهرة ١٣٦٦ هـ .
٤٥ - السلطان عبد الحميد الثانى : حياته وأحداث عهده ، بقلم / أورخان محمد على ، دار الوثائق ، الكويت ١٤٠٧ هـ .
٤٦ - الخطر اليهودي - بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة محمد خليفة التونسي .
٤٧ - المشروعية الإسلامية العليا : د/ علي جريشة .
٤٨ - أحجار علي رقعة الشطرنج : وليام غاي كار ، ترجمة سعيد الجزائري .

٤٩ - عوامل ضعف المسلمين : للأستاذ سميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني .
٥٠ - العالم الإسلامي - الاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي أنور الجندي .
٥١ - الإسلام والخلافة في العصر الحديث ، نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم : الدكتور محمد ضياء الدين الريس ، مكتبة دار التراث ، شارع الجمهورية / القاهرة .
٥٢ - قواعد البناء في المجتمع الإسلامي : د. محمد السيد الوكيل ، الوفاء للطباعة / ١٤٠٧/١ هـ / ١٩٨٦ م .
٥٣ - عناصر الترابط في المجتمع الإسلامي ، دار الثقافة / الدوحة قطر ، طبعة أولى سنة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
٥٤ - صحيح مسلم : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض .
٥٥ - الحضارة الغربية : للدكتور محمد محمد حسين .
٥٦ - العالم العربي اليوم : للكاتب الأمريكي ، مورو بيرجر .
٥٧ - قذائف الحق : محمد الغزالي ، طبعة خامسة ، منشورات ذات السلاسل سنة ١٩٨٤ م .
٥٨ - مسلمون وكفي : عبد الكريم الخطيب ، دار الشروق سنة ١٩٨٣ م .
٥٩ - قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامي : د/ زغلول راغب النجار ، طبعة أولي ، كتاب الأمة ، نشر رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية / قطر .
٦٠ - الحل الإسلامي فريضة وضرورة : د/ يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، بالقاهرة . الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧ هـ / أبريل ١٩٧٧ م .

٦١ - واقعنا المعاصر : محمد قطب ، طبعة أولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر .
٦٢ - تاريخ أصبهان : الإمام أبو نعيم الأصبهاني .
٦٣ - كتاب الأمثال في الحديث النبوي : أبو الشيخ الأصبهاني .
٦٤ - تفسير البيضاوي ، مكتبة الجمهورية العربية .
٦٥ - رياض الصالحين : الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
٦٦ - موطأ الإمام مالك ، دار النفائس ، الطبعة السابعة ١٤٠٤ هـ بيروت .
٦٧ - أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي : د/ علي محمد جريشة ، ومحمد شريف ، دار الاعتصام ، طبعة أولي .
٦٨ - العبادة في الإسلام : د/ يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة بيروت ، طبعة رابعة .
٦٩ - سراج الملوك : للعلامة أبي بكر محمد بن الوليد ، طبعة سنة ١٣١١ هـ .
٧٠ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : الإمام ابن عطية الأندلسي : الطبعة الأولي : رجب ١٤٠٢ هـ / مايو ١٩٨٢ م الدوحة - قطر .

* * *